القيم والأخلاق
في ضوء التربية الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

القيم والأخلاق
في ضوء التربية الإسلامية

د. خالد بن أحمد السعدي

1438هـ

صفحة ردمك

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة المركز	
مقدمة الكتاب	

مقدمة مركز استراتيجيات التربية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد..

فنحمد الله على إتمام وتجهيز هذا الكتاب للدكتور خالد بن أحمد السعدي. وكان عملنا في ذلك هو انتقاء الجزء المناسب من موضوع القيم والأخلاق المتطلبة في التربية من رسالة الدكتوراه القيمة "الحقوق والعلاقات الاجتماعية المتطلبة في التربية في ضوء التربية الإسلامية" ليكون مرجعاً بإذن الله تعالى في الأهداف والوسائل التربوية. وقد قمنا بسلسلة من المراجعات والتعديلات؛ لتجعله قريباً من القارئ المربي كالتقسيمات الفرعية وتعديل بعض الألفاظ – بعد موافقة المؤلف – ونادراً ما تم تقديم جزء من البحث أو تأخيره،كما أبقينا منهجية توثيق المراجع على ما هي عليه في الرسالة الأم. وتم اختيار ثلاث مواد نافعة ومفيدة من تلك الرسالة وهي كالتالي:

1- مقدمة في التربية.

2- القيم والأخلاق المتطلبة في التربية.

3- الحقوق والعلاقات الاجتماعية المتطلبة في التربية.

وهذه المادة هي المادة الثانية " القيم والأخلاق المتطلبة في التربية ".

وإذ نذكر عملنا في البحث فإننا نحمد الله أولاً على فضله, ثم نتقدم بالشكر للمؤلف على ثقته. كما نشكر ونقدر جهود فريق العمل الذي عمل وراجع وبذل في سبيل إخراج هذا البحث. مع حرصنا في التأكد من تجاوز أي ملاحظة في الإخراج؛ فإن العمل البشري لا يسلم منه إلا من وفقه الله وأكرمه. فما كان صواباً فمن الله وحده.

مركز استراتيجيات التربية.

القيم والأخلاق والآداب الاجتماعية
في ضوء التربية الإسلامية

مقدمة في التربية الإسلامية وعنايتها بتوجيه وإرشاد ورعاية النشء

وضع النبي صلى الله عليه وسلم في أعناق الآباء والمربين والموجهين والمرشدين مسؤولية عظيمة تجاه من يلزمهم رعايته ، فكلهم راعٍ ومسؤول عن رعيته (أحمد العيسوي ، 1413هـ) فقد قال عليه الصلاة والسلام : " كلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول عن رعيته : الإمام راعٍ ، ومسؤول عن رعيته ، والرجل راعٍ في أهله ، ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ، ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم راعٍ في مال سيده ، ومسؤول عن رعيته ، والرجل راعٍ في مال أبيه ، ومسؤول عن رعيته ، فكلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته " رواه البخاري (محمد البخاري ، ت 256هـ ، ط 1419هـ ، ج1 ، ص 451)

ويقول أحمد العيسوي : " وقد حرص المسلمون منذ فجر الإسلام على تربية أولادهم بتعويدهم على القيام بالعبادات المفروضة ، وطبعهم على الصفات الحميدة من الصدق والبر والصلة والبعد عن السوء ، وهم بذلك يستنقذون أنفسهم وأهليهم من العذاب استجابة لقوله تبارك وتعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ) (التحريم : 6) " (1413 هـ ، ص 306).

وقد جاءت التوجيهات النبوية كثيرة في إرشاد المتربي ورعايته وحفظ حقوقه وحمايته من كل سوء وشر ؛ حتى يشتد عوده اجتماعياً

وروى ابن السني عن أبي هريرة رضي الله عنه : " أن النبي صلى الله عليه وسلم ... رأى رجلاً معه غلام، فقال للغلام : من هذا ؟ قال : أبي ، قال : فلا تمشِ أمامه ، ولا تَسْتَسِبَّ له ، ولا تجلس قبله ، ولا تدعه باسمه " رواه عبدالرزاق موقوفاً على أبي هريرة ، وقال حبيب الرحمن الأعظمي معلقاً : والحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ت 211هـ ، ط 1403هـ ، ج11 ، ص 138).

آيات وأحاديث ذات العلاقة بالقيم والأخلاق والآداب وأقوال العلماء فيها:

الكتاب والسنة مصدر التربية الإسلامية الأساس ، وعند تتبعنا لبعض الآيات والأحاديث ذات العلاقة بتربية النشء ، وفي مجال نموه الاجتماعي ؛ أن هناك مخزوناً كبيراً من النصوص لا نستطيع استيعابه في هذا الكتاب ، ويمكننا أن نستعرض أمثلة من بعض ما جاء من آيات وأحاديث مع ذكر ما تناوله علماء التربية الإسلامية حيالها.

أولاً – الآيات :

– قال تعالى : "**إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾** "

(الإسراء : 23–24).

فالمتربي يروّض على هذه الأخلاق الكريمة والمعاملة الحسنة والأقوال الطيبة مع والديه ؛ فيحصل له بهذا الارتياض عليها كمال أخلاقي مع الناس أجمعين ، وذلك من ثمرات الامتثال بأوامر الله وطاعة الوالدين اللذين غذيّاه في حال صغره باللبن والطعام والشراب والتربية والتعليم . (عبدالحميد بن باديس ، ت 1359هـ ، د.ت / أحمد القاسم ، 1422هـ).

والآية الكريمة – كما يقول عبدالكريم الخطيب – " ترسم أدب الحديث مع الوالدين في حال بلوغهما الكبر ؛ فالكلمة النابية تجرح مشاعرهما ، وتكدر خاطرهما ، والكلمة الطيبة تنعش روحيهما وتشرح صدريهما . إن الأبوين في حال الكبر لا يحتاجان إلى كثير من الطعام أو الكساء أو غيرهما من متع الحياة ، وإنما الذي يحتاجان إليه في تلك الحال هو الإحسان إليهما بالكلمة الطيبة ، إذا كان أكثر ما يملكانه ويتعاملان به في هذه الحال هو الكلام أخذاً وعطاء ." (د.ت ، ج23 ، ص 473) ، " ثم نبّه على العلة الموجبة للإحسان إليهما والبر بهما واسترحام الله لهما وهي: تربيتهما له صغيراً ، وتلك الحالة مما تزيده إشفاقاً ورحمة لهما ، إذ هي تذكير لحالة إحسانهما إليه وقت لا يقدر على الإحسان لنفسه ... والظاهر أن الكاف في "كما " للتعليل أي: " **رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا** " لتربيتهما لي وجزاء على إحسانهما إليّ حالة الصغر والافتقار" (محمد الأندلسي ، ت 754 هـ ، ج7 ، ص 39).

- قال تعالى : " وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ " (النور : 31).
- وقال سبحانه : " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ " (النور : 58 – 59).

في هذه الآيات الكريمات آداب عظيمة يحتاج أن يُربى عليها النشء منذ نعومة أظفاره، خاصة وأنها تتعلق بالسلوك الاجتماعي داخل المحضن التربوي الأول وهو الأسرة ، وتتأكد أهمية ذلك لارتباطه بأحكام الاستئذان وحفظ العورات ، وربما تتساهل كثير من البيوتات في هذا الشأن لكونه ناشئاً صغيراً ؛ فيترتب على هذا الجهل مفاسد تربوية في بناء شخصية المتربي .

- وقال عبدالله النسفي (ت 701هـ) : " والمعنى أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن إلا في العورات الثلاث ، فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام أو بالسن وجب أن يفطموا عن تلك العادة ، ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن ، والناس عن هذا غافلون " (د.ت ، ج3 ، ص 357).
- وقال عبدالكريم الخطيب : " ولا بد أن يقف المرء هنا وقفة متأملة أمام هذا الأدب الإسلامي الرفيع ، الذي يضفي على أتباعه ستراً جميلاً من التصون والتعفف والحياء بهذه الحواجز الرقيقة التي لا تشف عما وراءها من عورات ، وذلك لا يكون إلا في مجتمع كملت إنسانيته ورقت مشاعره فعرف لنفسه قدرها ولكرامته حقها .

هذا هو الإنسان في أصل فطرته ، الحياء أول شعور وجده في كيانه ، وستر العورة أول صنيع صنعه ليخرج به عن عالم الحيوان !

ومن أجل هذا كان من آداب الإسلام هذا الحرص الشديد على الحفاظ على عورات المسلمين ، وعلى إيقاظ مشاعر الحياء فيهم بما أوجب عليهم من أحكام وآداب في المخالطة والمعاشرة والاستئذان وستر العورة ؛ حتى يظل ماء الحياء سارياً في كيانهم تتغذى منه مشاعرهم وتسمو به إنسانيتهم . فإنه لا إنسانية إذا خف ماء الحياء فيها ، وفي هذا يقول الرسول الكريم : "الحياء خير كله" ، " الحياء شعبة الإيمان " ، " الحياء من الإيمان ".

فأين هذا الأدب الرفيع من تلك الحياة البهيمية التي تعيش فيها أمم تعد في نظر المجتمعات الإنسانية قائمة على قمة الرقيّ ، مسؤولة على زمام المدنية والحضارة ؟ ، ولا تسلْ عن الأزياء الخليعة التي تشف ما تحتها وتجسّد ما وراءها . ولا تقف عند الاختلاط الحيواني بين الرجال والنساء في الأندية والطرقات والبيوت ، فذلك كله قد صار حياة من حياة تلك المجتمعات ، ووضعاً مستقراً من أوضاعها ، ولكن الذي يثير العجب والدهش حقاً أن يصبح هذا الأسلوب من الحياة ديناً يدين به الناس " (1970م ، ج3 ، ص ص 1322 – 1323).

– قال الله تعالى : " فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ " (الذاريات : 28).

" والعلم كان صفة بارزة من صفات إسحاق ، كما كانت الصفة البارزة في إسماعيل هي الحلم (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) (الصافات:101) " (عبدالكريم الخطيب ، 1970م ، ج5 ، ص517).

فالتربية الإسلامية تحرص على زرع الصفات الحقيقية في المتربي كالعلم والحلم ؛ لأن بها تتميز الشخصية وتكون ذات فاعلية إيجابية في مجتمعها ، بينما هذا التميز لا يظهر مع الصفات الشكلية .

ثانياً – الأحاديث :

– عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه مرّ على صبيان فسلّم عليهم وقال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله . رواه البخاري (محمد البخاري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 123)

وأخرج النسائي عن أنس رضي الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور الأنصار ، ويسلم على صبيانهم ، ويمسح رؤوسهم . رواه النسائي وصححه الألباني (محمد ناصر الدين الألباني ، 1408هـ ، ج2 ، ص 887)

وعن يسار قال : كنت أمشي مع ثابت البُناني فمر بصبيان فسلم عليهم ، وحدّث ثابت أنه كان يمشي مع أنس فمر بصبيان فسلم عليهم ، وحدّث أنس أنه كان يمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بصبيان فسلم عليهم . رواه مسلم (مسلم النيسابوري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 894)

في مجموع هذه الأحاديث استحباب السلام على الصبيان وبذله للناس كلهم ، وبيان تواضع النبي صلى الله عليه وسلم، وكمال شفقته على العالمين ، وأنه كان يعتني بفعل ذلك مع الصبيان أكثر منه مع غيرهم ، وإلا فهو يفعل ذلك أيضاً مع غيرهم ، وكان يتعهد أصحابه جميعاً ويزورهم . قال ابن بطال : في السلام على الصبيان تدريبهم على آداب الشريعة ، وفيه طرح الأكابر رداء الكبر وسلوك التواضع ولين الجانب . (ابن حجر العسقلاني ، ت 852هـ، د.ت / يحي النووي ، 1407هـ / محمد العظيم آبادي ، ت 1329هـ ، ط 1422 هـ / عبدالرؤوف المناوي ، د.ت).

وقال ابن حجر العسقلاني : " ... قال أبو سعيد المتولي في " التتمة " من سلّم على صبي لم يجب عليه الرد لأن الصبي ليس من أهل الفرض . وينبغي لوليه أن يأمره بالرد ليتمرن على ذلك " (د.ت ، ج11 ، ص 33) ، وظاهر من كلامه أهمية العناية بتدريب وتمرين النشء على مثل هذا الخلق العظيم ؛ ليعتاده وينشأ عليه حتى لو لم يكن واجباً وفرضاً في حقه، ويصبح سجية له بعدئذ .

وعن أنس رضي الله عنه ، قال : " أتى عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الغلمان ، قال : فسلم علينا ، فبعثني إلى حاجة ، فأبطأت على أمي ، فلما جئت قالت : ما حبسك ؟ قلت بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة ، قالت : ما حاجته؟ قلت : إنها سرّ ، قالت : لا تحدثن بسرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً ، قال أنس : والله ! لو حدثت به أحداً لحدثتك يا ثابت! " رواه مسلم (مسلم النيسابوري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 1006).

وعنه أيضاً قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقاً ، فأرسلني يوماً لحاجة ، فقلت : والله لا أذهب وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله صلى الله عليه وسلم ، قال: فخرجت حتى أمرّ على صبيان وهم يلعبون في السوق فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قابض بقفاي من ورائي ، فنظرت إليه وهو يضحك فقال : يا أُنيس اذهب حيث أمرتك . قلت : نعم أنا ذاهب يا رسول الله . قال أنس : والله لقد خدمته سبع سنين أو تسع سنين ما علمت قال لشيء صنعت : لم فعلت كذا وكذا ولا لشيء تركت : هلا فعلت كذا وكذا " رواه أبو داود وحسنه الألباني (سليمان السجستاني ، 1419هـ ، ص 521).

ومما يستفاد من مجموع هذه الأحاديث ما يلي :

1. جواز ترك الصبيان يلعبون بما ليس بحرام ، واللعب ميدان فسيح ينبغي العناية به وتمكين النشء منه ؛ ليكتمل نموهم الاجتماعي ، ويكتسبوا الأخلاق والقيم والآداب من خلال بيئة اللعب ، وهكذا كان صبيان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يلعبون مع بعضهم البعض ، ويراهم المربي القدوة عليه الصلاة والسلام ويسلم عليهم ويعززهم ويتلطف بهم ويقدر محبتهم وميلهم للعب ، ويستغل مثل ذلك في التوجيه والتدريب كما حصل مع ابن عباس وأنس رضي الله عنهم .
2. الاعتماد على النشء فيما يرسل فيه من دعاء إنسان ونحوه من حمل هدية وطلب حاجة وأشباهه ، بل في حفظ سر كما حصل مع أنس رضي الله عنه فلم يحدّث به أمه ولا ثابتاً ولا غيرهم ، وقد كان موقف أمّه حازماً عندما أمرته ألا يحدث بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً ، وهكذا يتربى النشء على تحمل المسؤولية وقيمة الأمانة .
3. إن الحياة الاجتماعية فرصة عظيمة وسانحة للنشء حينما يخالطون الكبار القدوات ، فهذا أنس رضي الله عنه وأرضاه يستفيد كثيراً من مخالطته وخدمته للنبي عليه الصلاة والسلام في اكتساب القيم والأخلاق والآداب الاجتماعية ، من تحمل للمسؤولية وحفظ للأمانة ومخالطة للأقران واحترام للكبار وصدق في الخطاب مع الله ومع العباد . (يحيى النووي، 1407هـ / يحيى النووي ، 1424هـ / محمد العظيم آبادي ، 1419هـ)

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً ، فقال : يا غلام ، إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فأسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن

ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف " رواه الترمذي وصححه الألباني (محمد ناصر الدين الألباني ، 1408هـ ، ج2 ، ص 1318).

قال بعض العلماء :" تدبرت هذا الحديث ، فأدهشني ، وكِدت أطيش ، فوا أسفى من الجهل بهذا الحديث ، وقلة التفهم لمعناه " (عبدالرحمن بن رجب ، ت 795 هـ ، د.ت ، ج1 ، ص ص 483 – 484).

والحديث يتضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من أهم أمور الدين ، علمها النبي صلى الله عليه وسلم لغلام ، وقد صدق محمد سويد عند تعليقه على هذا الحديث بقوله : " إن لهذا الحديث قوة كبيرة على حل مشاكل النشء ، بفضل تأثيره ، وروحانيته ، وله القدرة في دفع المتربي نحو الأمام ؛ بفضل استعانته بالله ، ومراقبته له ، وإيمانه بالقضاء والقدر " (1426هـ ، ص ص 213 – 214) .

إن المتربي في حياته الاجتماعية وعلاقاته مع الآخرين بحاجة إلى أن يتربى على هذه المعاني الجليلة التي تجعله في ركن شديد من أمره ، وحفظ مديد في عمره ، فهو يحفظ الله في أمره ونهيه ؛ فيحفظه الله تعالى في الدنيا من الآفات والمكروهات ، وفي العقبى من أنواع العقاب والدركات ، وهو يسأل الله وحده لا شريك له ، ويستعين به (محمد عبدالرحمن المباركفوري ، د.ت) فلا يحصل له إلا ما كتبه الله له أو عليه ، ويبقى مع هذه العقيدة الراسخة يترعرع وينمو ، ويحب الله أكثر من والديه ، ويخافه أكثر من خلقه ، ويرجو ما عنده أكثر من رجائه مما عند الناس أجمعين .

يقول عبدالرحمن بن رجب : " ... ومن حفظ الله في صباه وقوته ، حفظه الله في حال كبره وضعف قوته ، ومتعه بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله . كان بعض العلماء قد جاوز المئة سنة وهو ممتّع بقوته وعقله ، فوثب يوماً وثبة شديدة ، فعُوتب في ذلك ، فقال : هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر ، فحفظها الله علينا في الكبر. وعكس هذا أن بعض السلف رأى شيخاً يسأل الناس ، فقال : إن هذا ضيع الله في صغره ، فضيعه الله في كبره ... وقال ابن المنكدر : إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده والدويرات التي حوله فما يزالون في حفظ من الله وستر " (د. ت ، ج1 ، ص ص 488 – 489).

ففي جميع هذه الأحاديث النبوية ، ومن كلام الشراح ؛ نلحظ طريقة المصطفى عليه الصلاة والسلام في تعامله مع الناشئة ، فهو يشفق عليهم ويداعبهم ويتلطف بهم ويحلم عليهم ويراعي مشاعرهم ويدرك واقعهم؛ فكمل بذلك خلقه صلى الله عليه وسلم. وعلى المربين من الآباء وغيرهم مراعاة ذلك عند التعامل مع المتربين ، والاقتداء بالنبي عليه الصلاة والسلام في ذلك .

وبمراجعة الأدبيات المتعلقة بالقيم والأخلاق والآداب الاجتماعية ؛ تم التوصل – بتوفيق الله تعالى – إلى تحديد (79) قيمة وخلقاً وأدباً اجتماعياً ، وذلك حسب النظريات والدراسات والبحوث العلمية ، وكانت على النحو الآتي : (التقوى ، الإخاء ، العدل ، المساواة ، الحرية ، المسؤولية الاجتماعية ، تحمل المسؤولية ، الإنفاق ، الحياء ، الصبر ، الصدق ، الأمانة ، التواضع ، حسن الخلق ، التعاون ، الألفة ، الاهتمام بأمر المسلمين ، الرحمة ، الإيثار ، العفو وكظم الغيظ ، الإحسان ، الكرم ، التحذير من السباب ، البعد عن الإسراف ، الاستقلال الجيد لوقت الفراغ ، الربط بالصحبة الصالحة ، الشكر على المعروف ، الترفق في الطلب ، حسن الاعتذار ، التسامح ، الحب ، التعارف ، الوفاء بالعهد ، نمو مفهوم الذات وتأكيدها واكتساب اتجاه سليم نحوها والإحساس بالثقة فيها ، تحقيق الهوية ، ممارسة الاستقلال الشخصي ، تكوين اتجاهات سليمة نحو الجماعة ، تعلم الدور الاجتماعي في الحياة ، تكوين الضمير وتعلم المعايير السلوكية والتمييز بين الصواب والخطأ ، التقدير الاجتماعي ، التقبل ، الانتماء ، إرضاء الآخرين ، الميل إلى سلطة ضابطة ، اللعب ، النجاح ، الإنجاز ، آداب الطعام والشراب ، آداب التحية والسلام ، آداب الزيارة ، آداب السفر ، آداب الطريق ، آداب المجلس ، آداب في المجتمع ، آداب مع النفس ، آداب التبسم والضحك ، آداب الاستئذان والنظر ، آداب العطاس والتثاؤب ، آداب الضيافة وإكرام الضيف ، آداب الحديث ، آداب النوم ، آداب اللباس والزينة ، آداب ارتياد المسجد ، آداب المزاح ، التكافل ، الشورى ، الحوار ، تعلم التفاعل الاجتماعي مع رفاق السن وتكوين الصداقات والاتصال بالآخرين والتوافق الاجتماعي ، تعلم ما ينبغي توقعه من الآخرين وخاصة الوالدين والرفاق ، اصطحابه إلى مجالس الكبار ، إرساله لقضاء الحاجات ، عيادته إذا مرض ، ممازحته ، آداب البيع والشراء ، العمل ،

النظام والنظافة واحترام المواعيد ، القدوة ، الضبط الاجتماعي ، تكوين المفاهيم والمدركات الخاصة بالحياة اليومية).

وتم أخذ آراء (18) من المختصين والمهتمين بالتربية الإسلامية من خلال استبانة وفرز آرائهم ؛ توصلنا إلى أن القيم والأخلاق والآداب الاجتماعية التي أجاب عليها جميع المختصين والمهتمين بأن ارتباطها بموضوع البحث مناسب ، وهي مهمة جداً أو مهمة ؛ كانت على النحو الآتي :

(تحمل المسؤولية ، الصبر ، الصدق ، الرحمة ، الشكر ، الرفق ، السماحة ، الحياء ، الأمانة ، الاعتذار ، حسن الخلق ، التعاون ، الحب والمحبة ، الوفاء بالعهد والوعد ، اختيار الصحبة الصالحة ، الأسوة والقدوة الحسنة ، آداب الطعام والشراب ، آداب التحية والسلام ، آداب المجلس ، آداب المزاح) .

القيم والأخلاق والآداب الاجتماعية في ضوء التربية الإسلامية

مفهوم القيم والأخلاق في اللغة والاصطلاح:

في لغة العرب " (القيمة) : قيمة الشيء : قدره . وقيمة المتاع : ثمنه . والقيمة من الإنسان : طوله . (جمعها) قيم . ويقال : ما لفلان قيمة : ما له ثبات ودوام على الأمر " (إبراهيم أنيس وآخرون ، د.ت ، ج2 ، ص 768) ،

و " (الخُلُق) : حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر ورويّة . (جمعه) أخلاق " (إبراهيم أنيس وآخرون ، د.ت، ج1 ، ص 252).

وأما في الاصطلاح ، فهذا علي الجرجاني يقول : " الخلق : عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة ؛ سميت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة ؛ سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً ." (1407هـ ، ص ص 135 – 136) .

وقد ذكر علي أبو العينين (1425هـ ، ج1) أن بعض الباحثين عرّف القيم الإسلامية بأنها : " مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها الإسلام ، وتتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة ، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتفق مع إمكانياته ، وتتجسد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة مباشرة وغير مباشرة" (ص 79).

ومما أورده ابن حزم في هذا الباب أن " أصول الفضائل كلها : أربعة عنها تتركب كل فضيلة ؛ وهي : العدل والفهم والنجدة والجود . وأصول الرذائل كلها : أربعة عنها تتركب كل رذيلة ؛ وهي أضداد الذي ذكرنا وهي : الجور والجهل والجبن والشح .

قال أبو محمد علي بن أحمد : ومما قلته في الأخلاق :

زمام أصول الفضائل عدل وفهم وجود وباسُ

فعن هذه ركبت غيرها فمن حازها فهو في الناس راس

(1407هـ ، ص ص 50 – 51)

1" – تحمل المسؤولية :

(1) المفهوم :

المسؤولية في اللغة : " حال أو صفة من يُسأل عن أمر تقع عليه تبعته . وتطلق (أخلاقياً) على: التزام الشخص بما يصدر عنه قولاً أو عملاً . وتطلق (قانوناً) على : الالتزام بإصلاح الخطأ الواقع على الغير طبقاً للقانون." (إبراهيم مصطفى وآخرون ، د .ت ، ج1 ، ص 411).

أما في الاصطلاح ؛ فإن المسؤولية – كما يرى الخاقاني – الشعور بأداء الواجب والإخلاص في العمل ، وقيل : المسؤولية حالة يكون فيها الإنسان صالحاً للمؤاخذة على أعماله وملزماً بتبعاتها المختلفة . وقد قرّرها القرآن في آيات كثيرة ، فقال تعالى : "أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾"(القيامة:26) . (صالح بن حميد وآخرون ، 1418هـ)

(2) جوانب في تحمل المسؤولية :

يمكن تقسيم المسؤولية إلى الأنواع التالية :

1. المسؤولية الدينية : وهي التزام المرء بأوامر الله ونواهيه ، وقبوله في حال المخالفة لعقوبتها ومصدرها الدين .
2. المسؤولية الاجتماعية : هي التزام المرء بقوانين المجتمع ونظمه وتقاليده .

وقيل : هي المسؤولية الذاتية عن الجماعة ، وتتكون من عناصر ثلاثة هي : الاهتمام والفهم والمشاركة .

3. المسؤولية الأخلاقية : هي حالة تمنح المرء القدرة على تحمل تبعات أعماله وآثارها ، ومصدرها الضمير .

قال صلى الله عليه وسلم : " لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه . وعن شبابه فيما أبلاه . وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه ؟ وعن علمه ماذا عمل فيه " رواه الترمذي وصححه الألباني (محمد الترمذي ، 1419هـ ، ص 396).

ومن المبادئ التي قررها الإسلام قصر المسؤولية على المسؤول وحده ، فلا يؤخذ بريء بجريرة مذنب ، ولا يشترك أهله فيما اقترفت يداه ، أو نسب إليه .

وقد حدد القرآن الجزاء بقدر المسؤولية مع إيثار جانب الرحمة والعفو ومضاعفة الحسنات " مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ " (القصص : 84) . هذه معالم المسؤولية في الإسلام : فالإنسان مسؤول عن كسبه من خير وشر ومجازى عنه . وباب التوبة مفتوح له ما بقيت الحياة ، والجزاء العادل يوم القيامة .

ومسؤولية الفرد نحو المجتمع تتلخص في التالي :

1. الالتزام بقانون الجماعة ، وهذا يستلزم من الأفراد الالتزام بعقيدة المجتمع الأساسية التي تعتبر أمانة اجتماعية .
2. التعاون مع الجماعة في سبيل الخير العام.
3. تقديم العمل الصالح والتنافس في هذا السبيل.
4. نشر العلم الذي يسهم إسهاماً إيجابياً في بناء المجتمع وتطويره واستغلال الذكاء في هذا السبيل " فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ " (التوبة : 122).

ومن خصائص النظام الاجتماعي في الإسلام تحميل الفرد مسؤولية إصلاح المجتمع ، بمعنى أن كل فرد فيه مطالب بالعمل على إصلاح المجتمع وإزالة الفساد منه على قدر طاقته ووسعه ، والتعاون مع غيره لتحقيق هذا المطلوب ، ويعلّل ذلك بتأثر الفرد بالمجتمع ، وبضرورة قيام المجتمع الصالح ، وبأهمية النجاة من العقاب الجماعي . (صالح بن حميد وآخرون، 1418هـ)

(3) المسؤولية في مصادر التربية الإسلامية :

ورد معنى المسؤولية في بعض الآيات ، ومنها قوله تعالى : " **وكُلَّ إنسانٍ أَلزَمناهُ طائِرَهُ في عُنُقِهِ وَنُخرِجُ لَهُ يَومَ القِيامَةِ كِتابًا يَلقاهُ مَنشورًا ﴿١٣﴾ اقرَأ كِتابَكَ كَفى بِنَفسِكَ اليَومَ عَلَيكَ حَسيبًا ﴿١٤﴾ مَنِ اهتَدى فَإِنَّما يَهتَدي لِنَفسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيها وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزرَ أُخرى وَما كُنّا مُعَذِّبينَ حَتّى نَبعَثَ رَسولًا ﴿١٥﴾**" (الإسراء : 13 – 15).

بيّن محمد بن عاشور في معنى هذه الآيات أن كل إنسان يعامل بعمله من خير أو شر لا يُنقص له منه شيء ، ثم قال : " والمعنى أن وزر أحد لا يحمله غيره فإذا كان قد تسبب بوزره في إيقاع غيره في الوزر ، حمل عليه وزر بوزر غيره ، لأنه متسبب فيه ، وليس ذلك بحمل وزر الغير عليه ولكنه حمل وزر نفسه عليها وهو وزر التسبب في الأوزار. " (د.ت ، ج15 ، ص50) .

وكذلك جاء معنى المسؤولية في قوله تعالى : " وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا " (الإسراء : 36). فإن " الله سائل هذه الأعضاء يوم القيامة عما قال صاحبها أو عمل فتشهد عليه بما قال أو عمل مما لا يحل له القول فيه أو العمل " (أبو بكر الجزائري ، 1419هـ ، ج3 ، ص 194) ، و " يسأل صاحبها عما استعملها فيه ، لأنها آلات ، فإن استعملها في الخير استحق الثواب ، وإن استعملها في الشر استحق العقاب ، وقيل : إن الله سبحانه ينطق الأعضاء هذه عند سؤالها ، فتخبر عما فعله صاحبها " (محمد الأشقر ، ط 1427هـ ، ص51).

وأما عن المسؤولية في سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، فيأتي الحديث المشهور الذي رواه البخاري عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام الأعظم الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم ، وعبد الرجل راعٍ على مال سيده وهو مسؤول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته " رواه البخاري (محمد البخاري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 451) ، " قال الطيبي : في هذا الحديث أن الراعي ليس مطلوباً لذاته وإنما أقيم لحفظ ما استرعاه المالك فينبغي أن لا يتصرف إلا بما أذن الشارع فيه وهو تمثيل ليس في الباب ألطف ولا أجمع ولا أبلغ منه ، فإنه أجمل أولاً ثم فصل وأتى بحرف التنبيه مكرراً ...

وقال غيره : دخل في هذا العموم المنفرد الذي لا زوج له ولا خادم ولا ولد فإنه يصدق عليه أنه راعٍ على جوارحه حتى يعمل المأمورات ويتجنب المنهيات فعلاً ونطقاً واعتقاداً فجوارحه وقواه وحواسه رعيته ، ولا يلزم من الاتصاف بكونه راعياً أن لا يكون مرعياً باعتبار آخر " (ابن حجر العسقلاني ، د . ت ، ج13 ، ص 113).

ويحمِّل ابن القيم الآباء والمربين مسؤولية انحراف الأخلاق والسلوك ، لا سيما إذا كان الناشئ في أول مراحل نموه ، فإنه في أمس الحاجة إلى تقويم أخلاقه وتوجيه سلوكه ، وهو بمفرده لا يستطيع القيام بذلك ، فالمسؤولية على ولي أمره ، ويرى أن التربية السليمة هي التي تجعل للتدريب والتعويد شأناً في رسوخ الصفات الطيبة . (ابن قيم الجوزية ، 1403هـ)

ويقول محمد الهاشمي : " الفرد المسلم يشعر بمسؤوليته عن رعيته : ذلك أنه ما من تقصير أو تهاون أو تفريط في جنب الله ورسوله ، يقع فيه أحد أفراد أسرة هذا المسلم إلا وهو

مسؤول عنه : " كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته ... " وهذه المسؤولية التي يحسها المسلم الصادق من جراء تفريط أحد أفراد أسرته تخزّ جنبه ، فلا يطيق عليها صبراً ، ويسارع في إزالة أسبابها مهما تكن النتائج ، فما يصبر على هذه المسؤولية ، وما يطيق السكوت عليها إلا رجل في إيمانه ضعف، وفي دينه رقة ، وفي رجولته خَوَر. (1410هـ ، ص ص 14 – 15).

وهكذا ينبغي أن يُربّى المتربي على تحمل المسؤولية من خلال هذه المعاني العظيمة التي وردت في نصوص الكتاب والسنة وكلام أهل العلم والمختصين في التربية الإسلامية ، وأن يرى أمامه النماذج التي تشعر بالمسؤولية وتتحملها بكل جد واجتهاد ، ويقف الوالدان في مقدمة تلك النماذج التي يتأثر بها المتربي من خلال احتكاكه الاجتماعي المباشر بهما ، فمفاهيم ومشاعر وسلوكيات الوالدين عند تحملهما للمسؤولية التربوية والاجتماعية ؛ يتطبع بها المتربي تلقائياً فيكون ممن رُبِّي على هذه القيمة الاجتماعية العظيمة ، وكذلك يتربى الصغار على تحمل المسؤولية بتكليفهم بأعمال يطيقونها ، فلا إفراط ولا تفريط ولا قسوة ولا تدليل .

وللمسؤولية فوائد تشجع المربين على تربية النشء عليها ، وتحث المتربين على الاتصاف بها وممارستها في الحياة الاجتماعية ؛ فقيمة تحمل الفرد للمسؤولية تساعده على أداء أمانته أمام الله وأمام الناس ، وتكسبه ثقة المجتمع به ، وتشعره بقيمته الاجتماعية وحاجة الناس إليه ، وتغمره بالسعادة بعد القيام بالعمل ، وتزيد من قوة تماسك الوطن وقت الأزمات . (صالح بن حميد وآخرون ، 1418هـ)

2" – الصبر :

(1) المفهوم :

الصبر مصدر صَبَرَ يصبر وهو مأخوذ من مادة (ص ب ر) الدالة على الحبس (أحمد الرازي ، ت 395هـ ، ط 1420هـ) ، و" ويقال : صبر على الأمر : احتمله ولم يجزع . وصبر عنه : حبس نفسه عنه " (إبراهيم مصطفى وآخرون ، د . ت ، ج1 ، ص 505).

وقال المناوي : الصبر قوة مقاومة الأهوال والآلام الحسية والعقلية . وقيل : هو خلق فاضل من أخلاق النفس يُمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل ، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها . وقيل : هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة ، وقيل : هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب . وقيل : هو الثبات مع الله ، وتلقي بلائه بالرحب والسعة . وقيل : هو ثبات القلب عند موارد الاضطراب" (ابن قيم الجوزية ، ج2 ، ص ص 429 – 430).

(2) أهمية الصبر :

يبين أحمد بن تيمية (ت 728 هـ) أهمية الصبر في قوله : " ... وقد ذكر الله الصبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعاً . وقرنه بالصلاة في قوله تعالى: (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) ... ، وجعل الإمامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين بقوله: (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) . فإن الدين كله علم بالحق وعمل به ، والعمل به لابد فيه من الصبر بل وطلب علمه يحتاج إلى الصبر "(د.ت ، ج10 ، ص ص 39 – 40).

(3) الصبر في مصادر التربية الإسلامية :

جاءت آيات كثيرة في الصبر ، منها :

–قال الله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ " (البقرة : 153) ، قال صديق خان : " لما فرغ سبحانه من إرشاد عباده إلى ذكره وشكره عقب ذلك بإرشادهم إلى الاستعانة بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفس ، وبالصلاة التي هي عماد الدين ومعراج المؤمنين ، فإن من جمع بين ذكر الله وشكره واستعان بالصبر والصلاة على

تأدية ما أمر الله به ، ودفع ما يرد عليه من المحن فقد هدي إلى الصواب ، ووفق للخير ... (إن الله مع الصابرين) أي بالعون والنصر وإجابة الدعوة ، وهذه المعية التي أوضحها الله فيها أعظم ترغيب لعباده سبحانه إلى لزوم الصبر على ما ينوب من الخطوب فمن كان الله معه لم يخش من الأهوال ، وإن كانت كالجبال ، وهذه المعية خاصة بالمتقين والمحسنين والصابرين ، وأما المعية بالعلم والقدرة فهي عامة في حق كل أحد " (1965م ، ج1 ، ص 253).

- وقال تعالى :" ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ " (آل عمران : 16 – 17). قال عبدالرحمن السعدي (ت 1376هـ) : " ثم وصفهم بأجمل الصفات : بالصبر الذي هو حبس النفوس على ما يحبه الله طلباً لمرضاته ، يصبرون على طاعة الله ويصبرون عن معاصيه ويصبرون على أقداره المؤلمة ، وبالصدق بالأقوال والأحوال وهو استواء الظاهر والباطن وصدق العزيمة على سلوك الصراط المستقيم ..." (ط 1422هـ ،ج1 ، ص211) ، وقال محمد الأشقر : " صبروا على طاعة الله ، وصبروا عن محارمه " (1427هـ ، ص51) ، وقال محمد رشيد رضا (ت 1354هـ) : " الصبر هو حبس النفس عن كل مكروه يشق على النفس احتماله . وأكمل أنواعه الصبر على ملازمة الشريعة في المنشط والمكره . فعندما تهب زوابع الشهوات فتزلزل الاعتقاد بقبح المعاصي وسوء عاقبتها ؛ يكون الصبر هو الذي يثبّت الإيمان ويقف بالنفس عند الحدود المشروعة ، لذلك قرن الأمر بالتواصي بالحق بالأمر بالتواصي بالصبر في سورة العصر ، والحق هو المقصود الأول من الدين ، وهو لا يقوم إلا بالصبر . " (د . ت ، ج3 ، ص251).

- وقال سبحانه: "فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾" (الصافات : 102) ، قال عبدالرحمن السعدي : " فقال إسماعيل صابراً محتسباً مرضياً لربه وبارّاً بوالده : **(يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ)** أي : امض لما أمرك الله ، **(سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ)**:

أخبر أباه أنه موطِّن نفسه على الصبر ، وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى ؛ لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة الله " (1422هـ ، ج3 ، ص1476).

وهكذا تؤكد تلك الآيات أهمية التربية على الصبر والتواصي به ، فالإنسان يحتاج إلى ذلك كله في حياته وعلاقته بالآخرين ، فإما أمر من الله أو من رسوله صلى الله عليه وسلم يجب تربية النفس على الصبر للقيام به، أو نهي يجب تربية النفس على الصبر للانتهاء عنه ، أو بلاء ومصيبة وإيذاء وفتنة يلقاها المرء يجب تربية النفس على الصبر لتحملها ، وهكذا النشء يحتاجون إلى أن يعوّدوا على ذلك ليعتاد الصبر في حياته الاجتماعية فيثبت على فعل المأمورات وترك المحرمات والصبر على البلاء ؛ فتصبح له سجية وعادة ، يجد أثرها إذا كَبُر ؛ فتجعله قدوة يقتدي به الآخرون .

وأما السنة ، فقد جاءت أحاديث عدة في الصبر ، ومن ذلك :

- قوله عليه الصلاة والسلام في وصيته المشهورة لابن عباس رضي الله عنهما : " واعلم أن النصر مع الصبر " وهو حديث حسن بمجموع طرقه كما قال عبدالقادر الأرناؤوط في تحقيقه لجامع الأصول (ابن الأثير الجزري ، ت 606هـ ، ط 1403هـ ، ج11 ، ص 686) . قال عبدالرحمن بن رجب : " قال بعض السلف : كلنا يكره الموت وألم الجراح ، ولكن نتفاضل بالصبر . وقال البطال: الشجاعة صبر ساعة . وهذا في جهاد العدو الظاهر وهو جهاد الكفار، وكذلك جهاد العدو الباطن ، وهو جهاد النفس والهوى ، فإن جهادهما من أعظم الجهاد ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (المجاهد من جاهد نفسه في الله) . وقال عبدالله بن عمر لمن سأله عن الجهاد : ابدأ بنفسك ، فجاهدها ، وابدأ بنفسك ، فاغزها . وقال بقية بن الوليد : أخبرنا إبراهيم بن أدهم ، حدثنا الثقة عن علي بن أبي طالب ، قال : أول ما تنكرون من جهادكم جهادُكم أنفسكم ... وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في وصيته لعمر – رضي الله عنهما – حين استخلفه : إن أول ما أحذرك نفسك التي بين جنبيك. فهذا الجهاد يحتاج – أيضاً – إلى صبر ، فمن صبر على مجاهدة نفسه وهواه وشيطانه ؛ غَلَبَ وحصل له النصر والظفر، ومَلَكَ نفسه ، فصار عزيزاً ملكاً، ومن جزع ولم يصبر على مجاهدة ذلك ؛ غُلِبَ وقُهر وأسر ، وصار عبداً ذليلاً أسيراً في يد شيطانه وهواه ، كما قيل:

إذا المرء لم يغلب هواه أقامه بمنزلة فيها العزيز ذليل

" (1415هـ ، ج1 ، ص 516 – 518).

– وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم " رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما وصححه الألباني (محمد ناصر الدين الألباني ، 1408هـ ، ج2 ، ص 1129). قال محمد القزويني (ت 273 هـ) : " قال في السبل : (في الحديث أفضلية من يخالط الناس مخالطة يأمرهم فيها بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحسن معاملتهم، فإنه أفضل من الذي يعتزلهم ولا يصبر على المخالطة والأحوال تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والأزمان ولكل حال مقال) " (د.ت ،ج2 ، ص1942).

وهكذا ينبغي أن يوجه الآباء والمربون النشء إليه، ليدركوا هذه المفاهيم عقيدة ونظرياً ويمارسونها سلوكياً وعملياً في حياتهم الاجتماعية وهم يخالطون الناس ، ففضّل عليه الصلاة والسلام – في حديث ابن عمر رضي الله عنهما – الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم على الذي يعتزلهم ، فلا يمكن أن نتصور أن ينفك الإنسان من الأذى عند علاقته بالآخرين ، فليس له عندئذ إلا الصبر ؛ وينشأ المتربي عندها على معاني التواصل الاجتماعي الفعال مع الآخرين ، ويصبر على ما يلاقيه منهم ؛ لينال النصر والتوفيق والتأييد والخيرية من الله تعالى .

وقد جاء في الصبر آثار عن السلف الصالح ، ومنها :

– عن عمر – رضي الله عنه – قال:"وجدنا خير عيشنا الصبر" (عبدالرحمن السيوطي ، 1424هـ ، ج1، ص 358).

ونقل ابن قيم الجوزية (1424هـ) الآثار التالية :

– قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – : " الصبر مطية لا تكبو " (ص 15).

– وقال أبو علي الدقاق: "فاز الصابرون بعز الدارين ، لأنهم نالوا من الله معيته فإن الله مع الصابرين" (ص 431).

كما أورد شيرويه الديلمي (ت 509 هـ ، ط 1407هـ ، ج2) الآثار الآتية :

– قال علي بن أبي طالب : " الصبر والحلم والسَّخاوة من أخلاق الأنبياء ، فمن أكرمه الله – عز وجل – بكرامة الأنبياء ؛ أدخله الجنة مع الأنبياء بغير حساب " (ص 575).

– قال ابن مسعود : " الصبر نصف الإيمان واليقين الإيمان كله " (ص 575).

وهكذا يحتاج المتربي أن ينشأ على التعود على هذه القيمة العظيمة .

3" – الصدق :

(1) المفهوم :

يأتي الصدق لغة بمعانٍ ، فيقال " صدق فلان في الحديث صدقاً : أخبر بالواقع ، وصدق في القتال ونحوه : أقبل عليه في قوة ، وصدق فلاناً : أنبأه بالصدق . ويقال : صدقه الحديث . وصدق فلاناً النصيحة والإخاء : أخلصهما له . وصدق فلاناً الوعد : أوفى به "(إبراهيم مصطفى وآخرون ، د.ت ، ج1 ، ص 510).

وأما الصدق في الاصطلاح ، فقد قال الراغب الأصفهاني : " ... والصدق مطابقة القولِ الضميرَ والمخْبَر عنه معاً ... " (د.ت ، ص 277) ،

(2) فضل الصدق :

"الصّديقون في قوله تعالى : "وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَـٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَـٰئِكَ رَفِيقًا" (النساء : 69) ، جمع صدّيق ، وهو المبالغ في الصدق أو في التصديق والصديق هو الذي يحقق بفعله ما يقوله بلسانه ، وقيل : هم فضلاء أتباع الأنبياء الذين يسبقون إلى تصديقهم كأبي بكر – رضي الله عنه – " (محمد القرطبي ت 656 هـ ، ط 1408هـ ، ج5 ، ص 176) ،

وقال صالح بن حميد وآخرون : " فالصديقون : قوم دون الأنبياء في الفضيلة ولكن درجتهم ثاني درجة النبيين ... وقد كان الصدق من خصائص أقواله صلى الله عليه وسلم : يقول صاحب جلاء الأفهام ما خلاصته : لقد كان صلى الله عليه وسلم محفوظ اللسان من تحريف في قول واسترسال في خبر يكون إلى الكذب منسوباً وللصدق مجانباً ... وكانت قريش كلها تعرف عنه ذلك ، ولو حفظوا عليه كذبة نادرة في غير الرسالة لجعلوها دليلاً على تكذيبه في الرسالة ، ومن لزم الصدق في صغره كان له في الكبر ألزم ، ومن عُصِم منه في حق نفسه كان في حقوق الله أعصم " (1418هـ ، ج6 ، 2476).

(3) الصدق في مصادر التربية الإسلامية :

- من الآيات الواردة في الصدق قول الله تعالى : **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا** " (النساء : 69).**(وَالصِّدِّيقِينَ)** هم الذين كَمُلَ تصديقهم بما جاءت به الرسل ، فعلموا الحق وصدقوه بيقينهم وبالقيام به قولاً وعملاً وحالاً ودعوة إلى الله " (عبدالرحمن السعدي ، 1422هـ ج1 ، ص321) .
- وقوله سبحانه : " **قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾**" (المائدة : 119).

" **(هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ)** : والصادقون هم الذين استقامت أعمالهم وأقوالهم ونياتهم على الصراط المستقيم والهدي القويم ؛ فيوم القيامة يجدون ثمرة ذلك الصدق إذ أحلهم الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر " (عبدالرحمن السعدي ، 1422هـ ، ج1 ، ص 459) .

- وقوله عز وجل : " **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾** " (التوبة : 119).

" (**وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ**) : في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم ، الذين أقوالهم صدق ، وأعمالهم وأحوالهم لا تكون إلا صدقاً ، خليَّة من الكسل والفتور ، سالمة من المقاصد السيئة ، مشتملة على الإخلاص والنية الصالحة ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، قال تعالى : " هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم " (عبدالرحمن السعدي ، 1422هـ ، ج2 ، ص 296) .

وأما الأحاديث ، فعن أبي الحوراء السعدي قال : قلت للحسن بن علي : ما حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة " رواه الترمذي وصححه الألباني (محمد ناصر الدين الألباني ، 1408هـ ، ج1 ، ص 637)." وفي (المشكاة) : (طمأنينة) أي إن الصدق يطمئن إليه القلب ويسكن (وإن الكذب ريبة) بكسر الراء وحقيقتها قلق النفس واضطرابها، فإن كون الأمر مشكوكاً فيه مما تقلق له النفس وكونه صحيحاً صادقاً مما تطمئن له " (محمد عبدالرحمن المباركفوري ، د.ت ، ج2 ، ص 1947).

وكذلك ما جاء في الحديث الآخر عن عبدالله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً . وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً " رواه البخاري (محمد البخاري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 1177) . وقال يحي النووي : " قال العلماء معناه إن الصدق يهدي إلى العمل الصالح الخالص من كل مذموم والبر اسم جامع للخير كله ، وقيل البر الجنة ويجوز أن يتناول العمل الصالح والجنة وأما الكذب فيوصل إلى الفجور وهو الميل عن الاستقامة وقيل الانبعاث في المعاصي " (د.ت ، ج16 ، ص160) .

وهكذا جاءت الآثار وأقوال العلماء على منهاج الكتاب والسنة في الحث على الصدق مع الله ومع الناس والتحذير من الكذب ، فمما جاء عنهم :

- ما نقله ابن مفلح المقدسي (ت 763هـ) عن علي بن أبي طالب حيث قال : " من كانت له عند الناس ثلاث وجبت له عليهم ثلاث : من إذا حدّثهم صدقهم ، وإذا ائتمنوه لم يَخُنْهُم ، وإذا وعدهم وفّى لهم ، وجب له عليهم أن تحبه قلوبهم ، وتنطق بالثناء عليه ألسنتهم ، وتظهر له معونتهم " ،

وكذلك ما أورده ابن قيم الجوزية (1423هـ ، ج3) عن بعض السلف :

- قال عبدالواحد بن زيد : " الصدق الوفاء لله بالعمل " (ص 14).
- وقال إبراهيم الخواص : " الصادق لا تراه إلا في فرض يؤديه ، أو فضل يعمل فيه " (ص 20).
- وقال الجنيد : " حقيقة الصدق : أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب " (ص 20).
- وقيل : " ثلاث لا تخطئ الصادق : الحلاوة ، والملاحة ، والهيبة " (ص 20).
- وقال يوسف بن أسباط " لأن أبيت ليلة أعامل الله بالصدق أحب إليّ من أن أضرب بسيفي في سبيل الله " (ص 20).
- وقيل : " من طلب الله بالصدق أعطاه مرآة يُبصر فيها الحق والباطل " (ص 22).
- وقيل : " عليك بالصدق حيث تخاف أنه يضرك ، فإنه ينفعك ، ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضر بك " (ص 22).

والمتربي بحاجة إلى من يعوّده على الصدق قولاً وعملاً ، ويرى أمامه مواقف الصدق جلية ، حتى يقلّدها ويدرك أهميتها ، وتصبح جزءاً من سلوكه الاجتماعي اليومي ، فهو يصدق مع الله حيث يراه الله على ما يحب ، وهو يصدق مع الناس فيخبرهم بحقيقة الأمر وبما هو واقع ، ويصدق معهم في الحديث . وتتأكد هذه المعاني مع وجود بعض النماذج السلبية في التربية ؛ حيث تجد بعض الآباء يظهرون لأبنائهم ما يضاد الصدق في كلامهم ، فيقول قولاً ويخالفه فعلاً ، وَيعِد بأمر ولا ينفذه ، ويأمر ابنه بأن يقول لمن يسأل عنه قل له إن والدي غير موجود ، وهكذا ، وقد سبق موقف النبي عليه الصلاة والسلام وتحذيره لتلك الأم أن تكتب عليها كذبة وهي تدعو صغيرها حتى تعطيه ما يأكله .

وعندما يقف المتربي أثناء تربيته على فوائد الصدق ، وتبين له بأساليب مختلفة في البيت والمدرسة والمسجد ؛ فإنه ينمو نمواً اجتماعياً مبكراً من خلال تمثّل هذه القيمة العظيمة ، فيحبّه الناس ويثقون به ، ويأتمنونه في سائر معاملاتهم ، ويكون الصدق دليلاً على قوته وتوفر سمة الثقة بالنفس لديه ، وتراه شاعراً بقدره في المجتمع ، ومؤثراً في قلوب الآخرين . (صالح بن حميد وآخرون ، 1418هـ)

4" – الرحمة :

(1) المفهوم :

يقول أحمد الرازي : " الراء والحاء والميم أصل واحد يدل على الرقة والعطف والرأفة " (د.ت ، ج1 ، ص 516). وفي المعجم الوسيط : " رحم فلاناً رحمة : رق له وعطف عليه " (إبراهيم مصطفى وآخرون ، د.ت ، ج1 ، ص 335).

وأما الرحمة في الاصطلاح ، فيقول علي الجرجاني : " هي إرادة إيصال الخير " (1411هـ ، ص 122).

(2) جوانب في الرحمة :

يقول ابن قيم الجوزية مبيناً أن الرحمة تعني الحزم لا الإهمال : " إن الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد ، وإن كرهتْها نفسه وشقَّت عليها . فهذه هي الرحمة الحقيقية. فأرحم الناس من شق عليك في إيصال مصالحك ودفع المضار عنك . فمن رحمة الأب بولده : أن يكرهه على التأدب بالعلم والعمل ، ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره ، ويمنعه شهواته التي تعود بضرره ، ومتى أهمل ذلك من ولده كان لقلة رحمته به ، وإن ظن أنه يرحمه ويرفهّه ويريحه ، فهذه رحمة مقرونة بجهل كرحمة الأم ؛ ولهذا كان من تمام رحمة أرحم الراحمين تسليط أنواع البلاء على العبد فإنه أعلم بمصلحته ، فابتلاؤه له وامتحانه ومنعه من كثير من أغراضه وشهواته : من رحمته به ... " (1424هـ ، ج2 ، ص 901). ولهذه الرحمة أثر على المؤمن في الدنيا قبل الآخرة : "... فأما العاجلة : فما يعطيهم الله في الدنيا من محبة الخير والبر ، وذوق طعم الإيمان ، ووجدان حلاوته ، والفرح والسرور بأنْ هداهم الله تعالى لِما أضلّ عنه غيرهم ، و لِما اختُلِفَ فيه من الحق بإذنه ؛ فهم يتقلّبون في نور هُداه ، ويمشون به في الناس ، ويرون غيرهم مُتَحَيّراً في الظلمات ، فهم أشد الناس فرحاً بما آتاهم ربهم من الهدى ، قال تعالى : (**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ** ﴿٥٨﴾) (يونس : 58) فأمر – سبحانه – عباده المؤمنين المهتدين أن يفرحوا بفضله ورحمته " (ابن قيم الجوزية ، 1424هـ ، ج2 ، ص 898).

(3) الرحمة في مصادر التربية الإسلامية :

الرحمة في القرآن الكريم:

يقول الله تعالى : " مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ " (الفتح : 29) . قال عبدالرحمن السعدي : " (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) : أي متحابون متراحمون متعاطفون كالجسد الواحد ، يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه ، هذه معاملتهم مع الخلق ..." (1422هـ ، ج4 ، ص 1676).

الرحمة في الحديث النبوي :

وجاء في الحديث عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى " رواه البخاري (محمد البخاري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 1164) ، " قال ابن أبي جمرة : الذي يظهر أن التراحم والتوادد والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينها فرق لطيف ، فأما التراحم فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضاً بأخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر ، وأما التوادد فالمراد به التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي ، وأما التعاطف فالمراد به إعانة بعضهم بعضاً كما يعطف الثوب عليه ليقويه ... قال القاضي عياض : فتشبيهه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيل صحيح ، وفيه تقريب للفهم وإظهار للمعاني في الصور المرئية ، وفيه تعظيم حقوق المسلمين والحض على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضاً ..." (ابن حجر العسقلاني ، د.ت ، ج10، ص ص 438 – 439) ، وقال يحيى النووي : " هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه " (1407هـ ، ج16 ، ص 140).

ومما ورد في السنة عن الرحمة حديث جرير بن عبدالله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من لا يرحم لا يُرحم " رواه البخاري (محمد البخاري ، 1419هـ ، ص 1164) ، " قال ابن بطال: فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق فيدخل المؤمن والكافر والبهائم المملوك

منها وغير المملوك ، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسقي والتخفيف في الحمل وترك التعدي بالضرب" (ابن حجر العسقلاني، د.ت ، ج10 ، ص 440).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : " لا تُنزع الرحمة إلا من شقي " رواه الترمذي ، وقال الألباني : " حديث حسن " (محمد ناصر الدين الألباني ، ت 1420هـ ، ط 1408هـ ، ج2 ، ص 1243). وقال محمد عبدالرحمن المباركفوري : " قوله (لا تنزع الرحمة) بصيغة المجهول : أي لا يسلب الشفقة على خلق الله ، ومنهم نفسه التي هي أولى بالشفقة والمرحمة عليها من غيرها ، بل فائدة شفقته على غيره راجعة إليها لقوله تعالى : (**إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ**) ، (إلا من شقي) قال الطيبي : لأن الرحمة في الخلق رقة القلب، والرقة في القلب علامة الإيمان ، فمن لا رقة له لا إيمان له ، ومن لا إيمان له شقي ، فمن لا يرزق الرقة شقي " (د . ت ، ج2 ، ص 1625).

وجاء عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء. الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله" رواه الترمذي . وقال محمد ناصر الدين الألباني " حديث صحيح " (محمد ناصر الدين الألباني ، 1408هـ ، ج1 ، ص 661). وقال محمد عبدالرحمن المباركفوري : " قوله (الراحمون) لمن في الأرض من آدمي وحيوان محترم بنحو شفقة وإحسان ومواساة ، (يرحمهم الرحمن) أي يحسن إليهم ويتفضل عليهم ، والرحمة مقيدة بإتباع الكتاب والسنة ، فإقامة الحدود والانتقام لرحمة الله لا ينافي كل منهما الرحمة، (ارحموا من في الأرض) قال الطيبي : أتى بصيغة العموم ليشمل جميع أصناف الخلق فيرحم البر والفاجر ، والناطق والبهم ، والوحوش والطير " (د . ت ، ج2 ، ص ص 1625 – 1626).

الرحمة في الآثار وأقوال العلماء:

وقد وردت بعض الآثار والأقوال عن العلماء في الرحمة ، ومن ذلك :

- قول المهلب – رحمه الله تعالى – : " الرحمة التي خلقها الله لعباده وجعلها في نفوسهم في الدنيا هي التي يتغافرون بها يوم القيامة التبعات بينهم" (ابن حجر العسقلاني ، د.ت ، ج10 ، ص 432).
- قول عبدالرحمن السعدي : " فالشريعة كلها مبنية على الرحمة في أصولها وفروعها ، وفي الأمر بأداء حقوق الله وحقوق الخلق سواء كانت لله أو للخلق ، فإن الله لم يكلف نفساً إلا وسعها ... وإذا

تدبرت ما شرعه الله – عز وجل – في المعاملات والحقوق الزوجية وحقوق الوالدين والقرابة وجدت ذلك كله مبنياً خيراً وبركة " ، ثم قال : " لقد وسعت هذه الشريعة برحمتها وعدلها العدو والصديق ، ولقد لجأ إلى حصنها الحصين كل موفق رشيد " (1417هـ ، ص ص 64 ، 66).

وهكذا عندما تُعنى التربية الإسلامية في تنمية صفة الرحمة في المتربي ؛ فهي تجعله صاحب رسالة خالدة يرحم بها الناس أجمعين ، ويكون ذا قلب رقيق عطوف ودود ، يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويعامل الآخرين بهذه الصفة العظيمة التي تعوده على الرغبة في إيصال الخير للصغير والكبير ، والذكر والأنثى ، والمسلم والكافر ، والآدمي والحيوان والجماد أيضاً، فيكسب قلوب العباد ، ويهنأ به الجميع وتحبه النفوس ، وتقبل منه كل ما يوصله إليها ، وعندها تغمره رحمة الله في الدنيا والآخرة ، وعندما يُرحم المتربي من والديه وأساتذته والناس أجمعين ؛ فإنه يتمثل هذه القيمة والخلق الرفيع .

وبالتخلق بهذه القيمة الاجتماعية ؛ فإنها – عندما تشيع بين أفراد المجتمع – ترفع من مستواه ، وتجمع شمله ، وهي دليل على رقة قلب صاحبها وسمو نفسه ؛ فتثمر له محبة الناس. (صالح بن حميد وآخرون ، 1418هـ)

5" – الشكر :

(1) المفهوم :

الشكر مصدر شكر يشكر ، وهو مأخوذ من مادة (ش ك ر) التي تدل على " الثناء على الإنسان بمعروف يُولِيكه " (أحمد الرازي ، د.ت ، ج1 ، ص 623) ، وقال محمد الفيروز آبادي : " الشكر عرفان الإحسان ونشره " (1424هـ ، ص 419).

ويعرِّف ابن قيم الجوزية الشكر اصطلاحاً بأنه : " ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده : ثناءً واعترافاً ، وعلى قلبه شهوداً ومحبة ، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة " (1423هـ ، ج2 ، ص 575) .

(2) جوانب في الشكر :

والشكر على ثلاثة أضرب : شكر القلب ، وشكر اللسان ، وشكر سائر الجوارح ، فيقول ابن قدامة المقدسي (ت 742هـ) : " الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح . أما بالقلب فهو أن يقصد الخير ويُضمره للخلق كافة . وأما باللسان : فهو إظهار الشكر لله بالتحميد ، وأما الجوارح : فهو استعمال نعم الله في طاعته ، والتوقي من الاستعانة بها على معصيته ، فمِن شُكر العينين أن تستُر كل عيب تراه لمسلم ، ومن شكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه ، فهذا يدخل في جملة شكر هذه الأعضاء " (د.ت ، ص 305).

(3) الشكر في مصادر التربية الإسلامية :

الشكر في القرآن الكريم:

يقول الله تعالى في محكم التنزيل " **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** " (سبأ : 13) ، قال محمد القرطبي في تفسير لهذه الآية : " فظاهر القرآن والسنة أن الشكر بعمل الأبدان دون الاقتصار على عمل اللسان؛ فالشكر بالأفعال عمل الأركان ، والشكر بالأقوال عمل اللسان " (1408هـ ، ج14 ، ص 177).

وجاء في شرح حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر " رواه الترمذي وصححه الألباني (محمد ناصر الدين الألباني ، 1408هـ ، ج2 ، ص 731) ؛ ما ذكره محمد عبدالرحمن المباركفوري أن " قوله : (الطاعم الشاكر) أي عند الله تعالى بمنزلة الصائم الصابر لأن الطعم فعل والصوم كف ، فالطاعم بطعمه يأتي ربه بالشكر والصائم بكفه عن الطعم يأتيه بالصبر . قال القاري: أقل شكره أن يسمي إذا أكل ويحمد إذا فرغ وأقل صبره أن يحبس نفسه عن مفسدات الصوم " (د.ت ، ج2 ، ص 1934).

الشكر في السنة النبوية الشريفة:

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من صُنِع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء " رواه الترمذي وصححه الألباني (محمد ناصر الدين الألباني ، 1408هـ ، ج2 ، ص 1089) . قال محمد عبدالرحمن المباركفوري في تعليقه على هذا الحديث : " (جزاك الله خيراً) أي خير الجزاء أو أعطاك خيراً من خيري الدنيا والآخرة ، (فقد أبلغ في الثناء) أي بالغ في أداء شكره وذلك أنه اعترف بالتقصير وأنه ممن عجز عن جزائه وثنائه ففوض جزاءه إلى الله ليجزيه الجزاء الأوفى ، قال بعضهم : إذا قصرت يداك بالمكافأة ، فليطل لسانك بالشكر والدعاء " (د . ت ، ج2 ، ص 1679).

وجاء عند أبي داود حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " لا يشكر الله من لا يشكر الناس " رواه أبو داود وصححه الألباني (محمد ناصر الدين الألباني ، 1408هـ ، ج2 ، ص 1276) ، قال محمد العظيم آبادي : " قال الخطابي : هذا يتأول على وجهين : أحدهما : أن من كان من طبعه وعادته كفران نعمة الناس وترك الشكر لمعروفهم ، كان من عادته كفران نعمة الله تعالى وترك الشكر له . والوجه الآخر : أن الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس ويكفر معروفهم ؛ لاتصال أحد الأمرين بالآخر " (1422هـ ، ج8 ، ص 202).

وعن جابر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من أبلي بلاء فذكره ؛ فقد شكره ، وإن كتمه ؛ فقد كفره " رواه أبو داود وصححه الألباني (سليمان السجستاني ، 1419هـ ، ص 524).

" (من أُبلي بلاء) أي : أعطي عطاء ... من آداب النعمة أن يُذكر المعطي فإذا ذكره فقد شكره ومع الذكر يشكره ويثني عليه (وإن كتمه ؛ فقد كفره) أي : ستر نعمة العطاء" (محمد العظيم آبادي ، 1422هـ ، ج8 ، ص 203).

الآثار وأقوال العلماء في الشكر:

وقد جاءت الآثار وأقوال العلماء مبينة لهذه القيمة والخلق الكريم (الشكر) ، ومن ذلك ما نقله عبدالله بن قتيبة (ت 276هـ ، د.ت ، ج3) :

- " وقال آخر: حق النعمة أن تُحسن لباسها ، وتنسبها إلى وليّها ، وتذكر ما تناسى عندك منها " (ص 159).
- " ويقال : الشكر ثلاث منازل : لمن فوقك بالطاعة ، ولنظيرك بالمكافأة ، ولمن دونك بالإفضال عليه " (ص 167).
- " وكان يقال : الشكر زيادة في النعم ، وأمان من الغير " (ص 169).

وعندما تُنشِّئ التربية الإسلامية ناشئتها على الشكر ؛ فيتعود أن يشكر لكل من أحسن إليه ، فيشكر الله تعالى على نعمه ، ويحمده على آلائه ويمرّن لسانه على الحمد والثناء لله تعالى صباح مساء ، ويقول دائماً وفي كل حاله : الحمد لله ، والحمد لله رب العالمين ، والحمد لله على كل حال ، وهكذا يتعامل مع الناس الذين يحسنون إليه بقول أو عمل فهو لا ينسى أن يقول لكل واحد منهم : جزاك الله خيراً . ويتطبع المتربي على هذا الخلق عندما يرى الذين من حوله يشكرون أهل الفضل عليهم ، ويشكرونه عندما يحسن صنعاً؛ فيتخلق بهذا الخلق الاجتماعي الكريم .

وبالشكر يحفظ العبد نعم الله عليه ، بل تزيد ، ويكون الشكور قريباً من الناس حبيباً إليهم ، قرير العين ، يحب الخير للآخرين ، ولا يحسد من كان في نعمة ، وبه يُستدل على سمو نفسه ووفور عقله . (صالح بن حميد وآخرون ، 1418هـ)

6" – الرفق :

(1) المفهوم :

يقول محمد الفيروز آبادي : " الرفق : اللطف " (1424هـ ، ص 887) ، وقال أحمد الرازي : " الراء والفاء والقاف أصل واحد يدل على موافقة ومقاربة بلا عنف ، فالرفق خلاف العنف ، وفي الحديث : (إن الله – جل ثناؤه – يحب الرفق في الأمر كله) " (1420هـ ، ج1 ، ص 476).

والرفق في الاصطلاح : " هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل ، وهو ضد العنف " (محمد بن علان ، ت 1057هـ ، ط 1414هـ ، ج3 ، ص 89).

(2) جوانب في الرفق :

قال أبو حامد الغزالي : " اعلم أن الرفق محمود ويضاده العنف والحدة. والعنف نتيجة الغضب والفظاظة ، والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة ، وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاءه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت . فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق ، ولا يُحسَّن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظها على حد الاعتدال ، ولأجل هذا أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه ... فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق ، ولكن لمّا كانت الطباع إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر ، فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف " (د.ت ، ج3 ، ص ص 184 – 186).

ويوضح عبدالرحمن السعدي أن الرفق لا ينافي الحزم فيقول : " ومن أسمائه (الرفيق) في أفعاله وشرعه ... وهو تعالى يحب من عباده أهل الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف . والرفق من العبد لا ينافي الحزم ، فيكون رفيقاً في أموره متأنياً ، ومع ذلك لا يفوِّت الفرص إذا سنحت، ولا يهملها إذا عرضت " (1411هـ ، ج3 ، ص 383).

(3) الرفق في مصادر التربية الإسلامية :

الرفق في القرآن الكريم:

ورد الرفق في القرآن في قوله تعالى : "فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾" (طه : 44) ، يقول إسماعيل بن كثير : " هذه الآية فيها عبرة عظيمة ، وهو أن فرعون في غاية العتو

والاستكبار ، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك ، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين ، كما قال يزيد الرقاشي عند قوله: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا) : يا من يتحبب إلى من يعاديه فكيف بمن يتولاه ويناديه ؟ ... والحاصل من أقوالهم أن دعوتهما له تكون بكلام رقيق لين قريب سهل ، ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع ، كما قال تعالى : (ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (النحل : 125) " (1422هـ ، ج5 ، ص ص 294 – 295).

الرفق في الحديث النبوي الشريف:

وجاء في الحديث عند الترمذي عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال " من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير ، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير " روه الترمذي وصححه الألباني (محمد ناصر الدين الألباني ، 1408هـ ، ج2 ، ص 1046). " الرِّفق بالكسر ضد العنف ، وهو المداراة مع الرفقاء ولين الجانب واللطف في أخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها ... إذ به (الرفق) تنال المطالب الدنيوية والأخروية وبفوته تفوتان ، ففيه فضل الرفق والحث على التخلق به وذم العنف . وقال في " اللمعات " : يعني أن نصيب الرجل من الخير على قدر نصيبه من الرفق وحرمانه منه على قدر حرمانه منه"(محمد عبدالرحمن المباركفوري، د.ت ، ج2، ص 1667).

وقال يحي النووي عند شرحه لحديث جرير عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من يُحرم الرفق يحرم الخير " رواه مسلم – " وفي رواية : إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه ، وفي رواية : لا يكون الرفق في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه ، وفي رواية : عليك بالرفق " (1407هـ ، ج16 ، ص 145).

الرفق في آثار العلماء والسلف الصالح :

ومما ورد من آثار كلام السلف الصالح ؛ ما ذكره محمد الغزالي (د.ت، ج3، ص186) :

- " قال وهب بن منبه : الرفق ثنى الحلم " .
- " وقال بعضهم : ما أحسن الإيمان يزينه العلم ، وما أحسن العلم يزينه العمل ، وما أحسن العمل يزينه الرفق ، وما أضيف شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم ".

- " وعن أبي عون الأنصاري قال : ما تكلم الناس بكلمة صعبة إلا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجري مجراها " .
- " وقال أبو حمزة الكوفي : لا تتخذ من الخدم إلا ما لا بد منه ، فإن مع كل إنسان شيطاناً. واعلم أنهم لا يعطونك بالشدة شيئاً إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه ".

فالمتربي الذي يتربى من نعومة أظفاره على الرفق فإنه يتصف بخلق رفيع تميل إليه طبائع النفوس السوية ؛ لأن المتصف بهذا الخلق يكون سهلاً لطيفاً ليناً في الأقوال والأفعال ، فتزين أخلاقه وتصرفاته ، ويتجنب كل مسلك فيه عنف وحدة وعدوانية ، فعلى من يربي الناشئة أن يراعي ذلك خلال تربيته لهم وأن يتمثل هذا المربي الرفق في قوله وفعله ، وأن يعوّدهم عليه في تعامله مع الله ومع الآخرين ، ويأخذ بالأسهل والألطف دائماً في حياته الاجتماعية في حدود الشرع ؛ لتصبح العبادة معه عادة يسهل مزاولتها والاستمرار عليها ، وليكون لكلامه وفعاله أبلغ الأثر على نفوس الآخرين ، وأن يدعو المتربي إلى محاسن هذه القيمة الشريفة وفوائدها وآثارها في الدنيا والآخرة .

وعندما يتصف المتربي بهذه القيمة الاجتماعية (الرفق) ؛ فإنها تثمر محبة الناس له ، وتنمي روح المحبة والتعاون بين الناس ، وتنشئ مجتمعاً سالماً من الغل والعنف ، ويُستدل بها على صلاح المرء وحسن خلقه وسعادته وحكمته ، والرفق يزيّن الأشياء . (صالح بن حميد وآخرون، 1417هـ)

7" – السماحة :

(1) المفهوم :

في اللغة يقال : " سَمَح سمحاً : لَانَ وسهُل ، وسَمَح فلان : بذل في العسر واليسر عن كرم وسخاء ... والسماحة : الجود والكرم والسهولة " (إبراهيم مصطفى وآخرون ، د . ت ، ج1 ، ص 447) ، ويقول أحمد الرازي : " السين والميم والحاء أصل يدل على سلاسة وسهولة ، ورجل سمح أي جواد " (1420هـ ، ج1 ، ص 569) .

والسماحة في الاصطلاح على وجهين :

1. " بذل ما لا يجب تفضلاً " (علي الجرجاني ، 1411هـ ، ص 134) ، أو ما ذكره ابن الأثير الجزري من أن المقصود بها : " الجود والعطاء عن كرم وسخاء " (د.ت ، ص 439).
2. " في معنى التسامح مع الغير في المعاملات المختلفة ويكون ذلك بتيسير الأمور والملاينة فيها التي تتجلى في التيسير وعدم القهر ، وسماحة المسلمين التي تبدو في تعاملاتهم المختلفة سواء مع بعضهم أو مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى " (صالح بن حميد وآخرون ، 1418هـ ، ج6 ، ص 2288).

(2) جوانب في السماحة :

ناقش عبد الرحمن الميداني (ت 1425هـ) حقيقة النفس السمحة وطبيعتها فقال : " من طبيعة النفس السمحة أن يكون صاحبها هيناً ليناً (يتقبل) ما يجري به القضاء والقدر بالرضا والتسليم ، ويحاول أن يجد لكل ما يجري به ذلك حكمة مرضية وإن كان مخالفاً لهواه ويراقب دائماً قول الله تعالى : **(وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا)** (النساء : 19) ، وهو من أجل ذلك يستقبل كل ما يأتيه من قبل الله عز وجل بغاية الرضا ، ويلاحظ جوانب الخير في كل ما تجري به المقادير ، وهو لذلك يترقب المستقبل بتفاؤل وأمل كما يستقبل الواقع بانشراح لما يحب وإغضاء عما يكره وبذلك يسعد نفسه ويريح قلبه ، وهذا من كمال العقل ، لأن العاقل هو الشخص الواقعي أي الذي يسعد نفسه وقلبه بالواقع الذي لا يملك دفعه أو رفعه ، ويعامل الناس بالتسامح لأنه لا يملك أن يطوع الناس جميعاً لما يريد لأنهم مثله ذوي طبائع متباينة وإرادات مختلفة " (ط 1407هـ ، ج2 ، ص ص 457 – 458).

وأشار عبدالرحمن الميداني إلى أهم مظاهر سماحة النفس ، وبها يمكن أن يعرف عن الشخص هل هو من أهل السماحة أم لا ، وهي :

1. طلاقة الوجه واستقبال الناس بالبشر .
2. مبادرة الناس بالتحية والسلام والمصافحة وحسن المحادثة .
3. حسن المصاحبة والمعاشرة والتغاضي عن الهفوات مع إخوانه وأهله وأولاده وخدمه وكل من يخالطه أو يرعاه . (عبدالرحمن الميداني ، ط 1407هـ) .

وبهذه المظاهر يمكن أن يعوّد المتربي هذا الخلق النبيل ، ويدّرب عليه في مواقف الحياة الاجتماعية ، وقد بيّن الميداني بعض الوسائل الناجعة لاكتساب السماحة :

1. التأمل في الترغيبات التي رغب الله بها من يتحلى بهذا الخلق ، وتأمل الفوائد التي يجنيها سمح النفس في العاجل والآجل .
2. التأمل في المحاذير التي يقع فيها نكِد النفس ، وما يجلبه ذلك من مضار ومتاعب وخسائر مادية ومعنوية .
3. الاقتناع الإيماني بسلطان القضاء والقدر ، لأن علم الإنسان بأن المقادير أمور مرسومة ، ولا رادّ لها ، وأنها تجري وفقاً للحكمة الإلهية ؛ يجلب الطمأنينة وثبات القلب وراحة البال . (عبدالرحمن الميداني ، 1407هـ)

(3) السماحة في مصادر التربية الإسلامية :

السماحة في القرآن الكريم :

جاءت الآيات الكريمات في حث وأمر النبي صلى الله عليه وسلم على السماحة والجود والكرم والسخاء ، ومن ذلك قوله تعالى: " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ " (آل عمران : 159). " الفظ : الغليظ ، والمراد به ها هنا غليظ الكلام ؛ لقوله بعد ذلك : (غليظ القلب) أي : لو كنت سيء الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك ، ولكن الله جمعهم عليك ، وألان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم ، كما قال عبدالله بن عمرو : إنه رأى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة : أنه ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صخّاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح " (إسماعيل بن كثير ، 1422هـ ، ج2 ، ص 148). فحينما يَنشأ المتربون على السماحة ويُنشَّؤون عليها ؛ يُصبح هذا الخلق الحميد سجية فيهم يساعدهم في حياتهم ونموهم الاجتماعي .

السماحة في الحديث النبوي الشريف:

وفي الحديث عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع ، وإذا اشترى ، وإذا اقتضى " رواه البخاري (محمد البخاري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 391). " ... والمراد بالسماحة ترك المضاجرة ونحوها ... والسمح الجواد ، يقال سمح بكذا إذا جاد، والمراد هنا المساهلة ... وفيه الحض على السماحة في المعاملة واستعمال معالي الأخلاق وترك المشاحة والحض على ترك التضييق على الناس في المطالبة وأخذ العفو منهم " (ابن حجر العسقلاني ، ج4 ، ص ص 306 – 307).

ومما يدخل في هذا الباب حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ألا أخبركم بمن يحرم على النار ، وبمن تحرم عليه النار ؟ على كل قريب هين سهل " رواه الترمذي وصححه الألباني (محمد الترمذي ، 1419هـ ، 440). " (على كل قريب) أي على الناس ، ... قال القاري : ... تحرم على كل سهل طلق حليم لين الجانب ... ثم قوله (هين) فيعل

من الهون وهو السكون والوقار والسهولة ... (سهل) هو ضد الصعب ، أي سهل الخلق كريم الشمائل" (محمد عبدالرحمن المباركفوري ، د.ت ، ج2 ، ص ص 1934 – 1935).

وكذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال " اسْمَحْ يُسْمَحْ لك " رواه أحمد والطبراني والبيهقي وصححه الألباني (محمد ناصر الدين الألباني ، 1408هـ ، ج1 ، ص 229). " أي عامل الخلق الذين هم عيال الله وعبيده بالمسامحة والمساهلة ، يعاملك سيدهم بمثله في الدنيا والآخرة ... وقال بعض الحكماء : أحسن إن أحببت أن يحسن إليك ، ومن قل وفاؤه كثر أعداؤه ، وهذا من الإحسان المأمور به في القرآن المتعلق بالمعاملات ، وهو حث على المساهلة في المعاملة وحسن الانقياد ، وهو من سخاوة الطبع وحقارة الدنيا في القلب ، فمن لم يجده من طبعه فليتخلق به فعسى أن يسمح له الحق بما قصر فيه من طاعة وعسر عليه في الانقياد إليه في معاملته إذا أوقفه بين يديه لمحاسبته " (عبدالرؤف المناوي ، د . ت ، ج1، ص 512).

والمتربي حينما يكون سمحاً وسهلاً تتحقق له فوائد اجتماعية ونفسية عديدة ، منها : أنه يكون محبوباً لدى أهله ومجتمعه ، وتكون أموره ميسرة ، ويغنم بأكبر قدر من السعادة وهناءة العيش ، ويميل الناس إلى التعامل معه ؛ فيكثر عليه الخير . وتجلب السماحة الطمأنينة والأمن لكل من يتعامل معه من أصحاب الديانات الأخرى ؛ فيؤدي ذلك إلى حبهم له ، ثم الدخول في هذا الدين الذي يقر مبدأ التسامح مع الآخرين ولو كانوا كفاراً . (صالح بن حميد وآخرون ، 1418هـ)

8" – الحياء :

(1) المفهوم :

جاء مفهوم الحياء لغة واصطلاحاً في مواطن كثيرة من كلام العلماء ، ومن ذلك ما قاله أحمد بن فارس : " (حيي) الحاء والياء والحرف المعتل أصلان : أحدهما خلاف الموت، والآخر الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة ". (1399هـ ، ج2 ، ص 122) ، وقول ابن قيم الجوزية : " والحياء مشتق من الحياة، ومنه (الحيا) للمطر ، لكن هو مقصور ، وعلى حسب حياة القلب ، يكون فيه قوة خلق الحياء ، وقلة الحياء من موت القلب والروح ، فكلما كان القلب أحيا كان الحياء أتم " (1423هـ، ج2 ، ص 601) .

ويبين ابن منظور (ت 711 هـ) مفهوم الحياء بقوله : " والحياء : التوبة والحشمة ، وقد حَيِيَ منه حَياءً ، واستَحْيا واسْتَحَى ... " وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : الحياء شعبة من الإيمان ؛ قال بعضهم : كيف جعل الحياء وهو غريزة شعبة من الإيمان وهو اكتساب ؟ والجواب في ذلك : أن المستحي ينقطع بالحياء عن المعاصي ، وإن لم تكن له تقية ، فصار كالإيمان الذي يقطع عنها ويحول بين المؤمن وبينها ؛ قال ابن الأثير : وإنما جعل الحياء بعض الإيمان لأن الإيمان ينقسم إلى ائتمار بما أمر الله به وانتهاء عما نهى الله عنه، فإذا حصل الانتهاء بالحياء كان بعض الإيمان ... قال ابن سيده : قوله صلى الله عليه وسلم : " إن مما أدرك الناس من كلام النبوة إذا لم تستح فاصنع ما شئت " أي من لم يستح صنع ما شاء على جهة الذم لترك الحياء ، وليس يأمره بذلك ولكنه أمر بمعنى الخبر ، ومعنى الحديث أنه يأمر بالحياء ويحث عليه ويعيب تركه " (1419هـ ، ج3 ، ص 429) .

وذكر الراغب الأصفهاني أن " الحياء انقباض النفس عن القبائح وتركه"(د.ت، ص 140).

ويقول ابن مفلح المقدسي في بيان حقيقة الحياء أنه : " خلق يبعث على فعل الحسن وترك القبيح والله أعلم " (1417هـ ، ج2 ، ص 219) .

والحياء عند محمد الفيروز آبادي : " انقباض النفس عن القبيح وتركه" (د.ت، ج2، ص155)

وقال فضل الله الجيلاني : " الحياء هو تغيّر وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يُلام به مما كان قبيحاً حقيقة " (1420هـ ، ج2 ، ص 334) .

(2) جوانب في الحياء :

حينما يتربى الناشئة على الحياء فإنه يتربى على كل خير ، فالحياء أصل لكل خير ، وقد قال ابن قيم الجوزية في ذلك ما يأتي : " تأمل هذا الخلق الذي خص به الإنسان دون جميع الحيوان وهو خلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدراً وأكثرها نفعاً ، بل هو خاصة الإنسانية ، فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتهما الظاهرة ، كما أنه ليس معه من الخير شيء ، ولولا هذا الخلق لم يُقْرَ الضيف ، ولم يُوفَ بالوعد ، ولم تؤدَ أمانة ، ولم يُقضَ لأحد حاجة ، ولا تحرَّى الرجلُ الجميلَ فَآثره ، والقبيحَ فتجنبه ، ولا ستر له عورة ، ولا امتنع من فاحشةٍ . وكثير من الناس لولا الحياء الذي فيه لم يُؤدِّ شيئاً من الأمور المفترضة عليه ، ولَمَ يَرْعَ لمخلوق حقاً ، ولم يَصِلْ له رحماً ، ولا برَّ له والداً ؛ فإن الباعث على هذه الأفعال إما ديني – وهو رجاء عاقبتها الحميدة – وإما دنيوي علوي – وهو حياء فاعلها من الخَلْق – فقد تبين أنه لولا الحياء إما من الخالق أو من الخلائق لم يفعلها صاحبها "(1416هـ ، ج2 ، ص ص 236 – 237) .

ومقابل ذلك فإن المعاصي تذهب بالحياء ، ويجب أن يعوّد الناشئة على ترك القبائح والمعاصي وبغضها ؛ حتى يبقى خلق الحياء موجوداً أثره قائماً ، وفي ذلك يقول ابن القيم الجوزية أيضاً : " من عقوبات المعاصي ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب ، وهو أصل كل خير وذهابه ذهاب الخير أجمعه وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الحياء خير كله) والمقصود أن الذنوب تضعف الحياء من العبد ، حتى ربما لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله ، ولا باطلاعهم عليه ، بل كثير منهم يخبر عن حاله وقبح ما يفعل ، والحامل له على ذلك انسلاخه من الحياء ، وإذا وصل العبد إلى هذه الحال لم يبق في صلاحه مطمع . وإذا رأى إبليس طلعة وجهه حيّاه وقال : فديت من لا يفلحُ ... ومن لا حياء فيه ميت في الدنيا شقي في الآخرة ، وبين الذنوب وقلة الحياء وعدم الغيرة تلازم من الطرفين ، وكل منهما يستدعي الآخر ويطلبه حثيثاً ، ومن استحيى من الله عند معصيته استحيى الله من عقوبته يوم يلقاه ، ومن لم يستحِ من معصيته لم يستحِ من عقوبته " (1408هـ ، ص ص 131 – 133) .

وحتى تنشأ الأجيال على هذا الخلق الرفيع ؛ فإنه مما ينبغي إدراكه أن الحياء يتولد من العلم بأن الله ناظر إلى العبد ، فلا بد من التربية على استشعار هذا المعنى الإيماني من مراقبة الله تعالى ، ويقول ابن القيم (ت 751هـ) كذلك : " ... العبد متى علم أن الرب تعالى ناظر إليه

أورثه هذا العلم حياءً منه ، يجذبه إلى احتمال أعباء الطاعة ، مثل العبد إذا عمل الشغل بين يدي سيده ، فإنه يكون نشيطاً فيه ، محتملاً لأعبائه ، ولا سيما مع الإحسان من سيده إليه ، ومحبته لسيده ، بخلاف ما إذا كان غائباً عن سيده ، والرب تعالى لا يغيب نظره عن عبده ، ولكن يغيب نظر القلب والتفاته إلى نظره سبحانه إلى العبيد ؛ فإن القلب إذا غاب نظره ، وقلّ التفاته إلى نظر الله تبارك وتعالى إليه توّلد من ذلك قلة الحياء والقحِة " (1423هـ ، ج2 ، ص 610) .

ولا بد من معرفة أن الحياء الحقيقي لا يحمل المرء على الإخلال ببعض الحقوق ؛ فيستحي أن يواجِه بالحق ، ويترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإذا حصل ذلك فإنه ليس بحياء حقيقة ، بل هو عجز وخور ومهانة . (فضل الله الجيلاني ، 1420هـ).

وأخيراً ، فإن الحياء له أنواع ، فبعض العلماء جعله قسمين : غريزي ومكتسب ، ومن هؤلاء ابن حجر العسقلاني ، وبين أن الحياء المكتسب هو المكلف به دون الغريزي ، والمكتسب جعله الشارع من الإيمان ، وربما اعتاد الإنسان على المكتسب حتى يصير كالغريزي ، وقد جمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم النوعان ، فكان في الغريزي أشد حياء من العذراء في خدرها ، وفي المكتسب في الذروة العليا . (د.ت)

وعليه فإن المتربي حينما يحافظ مربوه على مستوى حيائه الغريزي ، ويساعدونه على اكتساب الحياء الإيماني ؛ فإنه ينشأ نشأة فاضلة يدرك من خلالها أهمية ستر العورات وخطورة كشفها والاطلاع عليها، ويمتنع من كل قبيح خوفاً من الله تعالى ؛ حتى تصبح له هذه الخصلة عادة في حياته ينطبع عليها في شؤونه كلها .

(3) الحياء في مصادر التربية الإسلامية :

الحياء في القرآن الكريم :

كان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن ينهى أصحابه عن دخولهم منزله بغير إذنه ؛ وذلك من شدة حيائه عليه الصلاة والسلام ، مع أن صنيعهم كان يشق عليه ويتأذى منه ؛ فأنزل الله قوله : " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ " (الأحزاب : 53) ، فنهاهم عن ذلك وزجرهم عنه . (إسماعيل بن كثير ، 1422هـ).

الحياء في الحديث النبوي الشريف:

وفي الحديث الذي رواه البخاري عن أبي مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت " (محمد البخاري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 671) ، قال ابن حجر العسقلاني في شرحه : " قيل : إنه أمر بمعنى التهديد والوعيد ، والمعنى : إذا لم يكن لك حياء ، فاعمل ما شئت ، فإن الله يجازيك عليه ... وقيل : إنه أمر، ومعناه : الخبر ، والمعنى : أن من لم يستحي ، صنع ما شاء، فإن المانع من فعل القبائح هو الحياء ، فمن لم يكن له حياء ، انهمك في كل فحشاء ومنكر ... واعلم أن الحياء نوعان :

أحدهما : ما كان خَلْقاً وجبلَّةً غير مكتسب ، وهو من أجلِّ الأخلاق التي يمنحها الله العبد ويجبله عليها ... فإنه يكفّ عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق ، ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها ، فهو من خصال الإيمان بهذا الاعتبار .

والثاني : ما كان مكتسباً من معرفة الله ، ومعرفة عظمته وقربه من عباده ، واطلاعه عليهم ، وعلمه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور ، فهذا من أعلى خصال الإيمان ، بل هو من أعلى درجات الإحسان. " (د.ت ، ج10 ، ص ص 525 – 527 ، 530- 531).

وعن أبي السوار العدوي قال : " سمعت عمران بن حصين قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : الحياء لا يأتي إلا بخير." رواه البخاري (محمد البخاري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 1180). ومما جاء في شرح ابن حجر العسقلاني لهذا الحديث ما نصه : " قال القرطبي : معنى كلام بشير أن من الحياء ما يحمل صاحبه على الوقار بأن يوقر غيره ويتوقر هو في نفسه . ومنه ما يحمله على أن يسكن عن كثير مما يتحرك الناس فيه من الأمور التي لا تليق بذي المروءة. " (د.ت ، ج10، ص ص 521 – 522).

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء يقول : إنك لتستحيي – حتى كأنه يقول : قد أضر بك – فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعه فإن الحياء من الإيمان " رواه البخاري (محمد البخاري ، 1419هـ، ج1 ، ص 28). قال ابن حجر العسقلاني : " قال أبو عبيد الهروي : معناه أن المستحي ينقطع بحيائه عن المعاصي وإن لم يكن له تقية ، فصار كالإيمان القاطع بينه وبين المعاصي " (د.ت ، ج10 ، ص ص 521 – 523) .

فخلق الحياء مهم جداً لتربية الأجيال ؛ فهو خلق المصطفى عليه الصلاة والسلام مع أصحابه ، والحياء يحثهم على فعل الجميل ومكارم الأخلاق ، ويكسبهم الوقار والمروءة والخير في غالب حالهم ، ويستر عيوبهم ، فالمتربي يتعوّد في المحاضن التربوية على الحياء من الله ؛ فيستحيي أن يفعل أو يقول أمراً لا يحبه الله ، ويتعود على الحياء من الناس ؛ فيستحيي منهم فلا يؤذيهم أو يشق عليهم في قول أو عمل .

الحياء في أقوال علماء الأمة :

وتتجلَّى حقيقة الحياء في أقوال سلف هذه الأمة ، ومنها :

- " قال عمر – رضي الله عنه – : من قلّ حياؤه قلَّ ورعه ، ومن قلَّ ورعه مات قلبه " (عبدالله بن أبي الدنيا ، ت 281هـ ، ط 1409هـ ، ص ص 82 – 83).
- " قال ابن مسعود – رضي الله عنه – : من لا يستحيي من الناس لا يستحيي من الله " (صالح بن حميد وآخرون ، 1418هـ ، ج5 ، ص 1814).
- " قال إياس بن قرة : كنت عند عمر بن عبدالعزيز فذكر عنده الحياء ، فقالوا : الحياء من الدين . فقال عمر : بل هو الدين كله " (عبدالله بن أبي الدنيا ، 1409هـ ، ص 77).
- " قال الفضيل بن عياض : خمس من علامات الشِّقوة : القسوة في القلب ، وجمود العين، وقلة الحياء ، والرغبة في الدنيا ، وطول الأمل " (ابن قيم الجوزية ، 1423هـ ، ج2 ، ص 602).
- " قال يحيى بن معاذ : من استحيى من الله مطيعاً ، استحيى الله منه وهو مذنب " (ابن قيم الجوزية ، 1423هـ ، ج2 ، ص 602).
- " في قوله تعالى : **(وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ)** (الأعراف : 26) ، قال معبد الجهني : لباس التقوى الحياء " (محمد القرطبي ، 1408هـ ، ج7 ، ص 119).
- " قال الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول : من كساه الحياء ثوبه لم يَرَ الناس عيبه" (ابن مفلح المقدسي، 1417هـ ، ج2 ، ص 220).
- " عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : إن مكارم الأخلاق عشرة : صدق الحديث ، وصدق البأس في طاعة الله ، وإعطاء السائل ، ومكافأة الصنيع ، وصلة الرحم ، وأداء الأمانة ، والتذمم للجار ، والتذمم للصاحب ، وقرى الضيف ، ورأسهن الحياء " (عبدالله بن أبي الدنيا ، 1409هـ ، ص41) .
- " عن ابن الأعرابي : قال بعض العرب :

إني كأني أرى من لا حياء له ولا أمانة وسط القوم عرياناً "

(صالح بن حميد وآخرون ، 1418هـ ، ج5 ، ص 1814).

- " وقيل :

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء

فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي اللحاء "

(محمد الفيروز آبادي ، 1404هـ ، ج2 ، ص 155).

وللحياء فوائد اجتماعية عديدة وآثار حميدة تجنيها الأجيال إذا هي تخلّقت به ؛ فهو دليل على كرم السجية وطيب المنبت ، ويُعدّ صاحبه من المحبوبين من الناس ، ويُكسى به الوقار ؛ فلا يفعل ما يخلّ بالمروءة . (صالح بن حميد وآخرون ، 1418هـ)

9" – الأمـانة :

(1) المفهوم :

يعرّف أهل اللغة الأمانة بأنها ضد الخيانة ، فيقول محمد الفيروز آبادي : " والأمانة والأَمَنَة ضد الخيانة " (د.ت ، ج4 ، ص 199) ، ويقول إبراهيم مصطفى وآخرون : " (أَمُنَ) – أمانةً : كان أميناً ... و (الأمانة) ضد الخيانة ... (الأمين) : الحافظ الحارس . و(الأمين) المأمون". (د.ت، ج1 ، ص28) .

وأما الأمانة اصطلاحاً فهي " خلق ثابت في النفس يعفّ به الإنسان عما ليس له به حق ، وإن تهيأت له ظروف العدوان عليه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس ، ويؤدي به ما عليه أو لديه من حق لغيره ، وإن استطاع أن يهضمه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس " (عبدالرحمن الميداني ، 1399هـ ، ج1، ص 593).

فالعفة عن الأموال من الأمانة ، والعفة عن العدوان على الأعراض من الأمانة ، والعفة عن الغش من الأمانة ، وإعطاء كل ذي حق حقه من الأمانة ، والعدل من الأمانة ، والجور والظلم من الخيانة ، وهكذا وتتعدد صور خلق الأمانة . (عبدالرحمن الميداني ، 1399هـ)

ومن خلال هذه العناصر يمكن للمتربين أن يتحلوا بهذه القيمة العظيمة والأدب الرفيع ؛ وذلك بتربيتهم على تلك العناصر ، وتعليمهم إياها وتقديم قصص ونماذج وقدوات صالحة تتمثل الأمانة في حياتها ومن خلال علاقاتها مع الله سبحانه ومع الآخرين.

(2) جوانب في الأمانة :

كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم مشهوراً بالأمين في قومه قبل الرسالة ، واختاروه لحفظ ودائعهم عنده ، ووكّل علي بن أبي طالب برد الودائع إلى أصحابها وقت الهجرة . وهكذا كانت الأمانة من أبرز أخلاق الرسل عليهم الصلاة والسلام : "إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ " (الشعراء : 107) ، وبالأمانة امتدح الله سبحانه جبريل عليه السلام بقوله : " **وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194)** " (الشعراء : 192 – 194) . (عبدالرحمن الميداني ، 1399هـ)

وتأتي الأمانة في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه :

1- الفرائض، ومنه قوله تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾" (الأنفال : 27) .

2- الوديعة، ومنه قوله تعالى : "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾" (النساء : 58).

3- العفة والصيانة ، ومنه قوله تعالى : " قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ " (القصص : 26). (محمد الفيروز آبادي ، 1404هـ / عبدالرحمن بن الجوزي ، ت 597هـ ، د.ت)

(3) الأمانة في مصادر التربية الإسلامية :

الأمانة في القرآن الكريم :

يقول الله تعالى : "**وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** " (المؤمنون : 8) ، فالمؤمنون من أوصافهم أنهم حافظون لما ائتمنوا عليه فيما بينهم وبين الناس . (عبدالرحمن السيوطي ، 1424هـ)

قال الحسن النيسابوري عند تفسيره لقوله تعالى "**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**" (الأحزاب : 72) يبين محمد الطاهر بن عاشور معناها فيقول : " ويجوز أن تكون الأمانة ما يؤتمن عليه ، وذلك أن الإنسان مدني بالطبع مخالط لبني جنسه فهو لا يخلو من ائتمان أو أمانة فكان الإنسان متحملاً لصفة الأمانة بفطرته والناس متفاوتون في الوفاء لما ائتمنوا عليه كما في الحديث " إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة " أي إذا انقرضت الأمانة كان انقراضها علامة على اختلال الفطرة ، فكان في جملة الاختلالات المنذرة بدنو

الساعة مثل تكوير الشمس وانكدار النجوم ودكّ الجبال" (د.ت ، ج22 ، ص 128) ، فمن لم يقضِ حق الأمانة فهو ظلوم جهول ، وعليه فلا بد أن تُعنى التربية الإسلامية بتنشئة المتربين على العدل والعلم ومعرفة حقوق الله والعباد ؛ حتى يوفروها (الأمانة) لهم ويحققوا بذلك صفة الأمانة .

الأمانة في الحديث النبوي:

وجاءت في السنة أحاديث عن الأمانة ، ومن ذلك ما رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم " رواه الترمذي وقال الألباني حسن صحيح (محمد الترمذي ، 1419هـ ، ص 436) ، قال محمد عبدالرحمن المباركفوري : " (من أمنه الناس) أي ائتمنه يعني جعلوه أميناً وصاروا منه على أمن (على دمائهم وأموالهم) لكمال أمانته وديانته وعدم خيانته " (د.ت ، ج2 ، ص 2010) .

وعن ابن عمر قال : " كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ودّع رجلاً أخذ بيده فلا يدعها حتى يكون الرجل هو يدع يد النبي صلى الله عليه وسلم ويقول : أستودع الله دينك وأمانتك وآخر عملك " رواه الترمذي وصححه الألباني (محمد ناصر الدين الألباني ، 1408هـ ، ج1 ، ص 225) ، وعن سالم " أن ابن عمر كان يقول للرجل إذا أراد سفراً : أن ادن مني أودعك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعنا فيقول: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك" رواه الترمذي وصححه الألباني (محمد ناصر الدين الألباني ، 1408هـ ، ج1 ، ص 225). قال محمد عبدالرحمن المباركفوري : " (وأمانتك) أي حفظ أمانتك فيما تزاوله من الأخذ والإعطاء ومعاشرة الناس في السفر إذ قد يقع منك هناك خيانة ، وقيل : أريد بالأمانة الأهل والأولاد الذي خلفهم ، وقيل : المراد بالأمانة التكاليف كلها" (د.ت ، ج2 ، ص 2455).

وفي حديث الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك " رواه الترمذي وصححه الألباني (محمد ناصر الدين الألباني ، 1408هـ ، ج1 ، ص 107) ، قال محمد عبدالرحمن المباركفوري : " قوله : (أد الأمانة) هي كل شيء لزمك أداؤه . والأمر بالوجوب ... (ولا تخن من خانك) أي لا تعامله بمعاملته ولا تقابل خيانته بخيانتك" (د.ت ، ج2 ، ص 1250).

وجاء في البخاري الحديثان التاليان :

- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " آية المنافق ثلاث : إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان " رواه البخاري (محمد البخاري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 1177)
- وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أربع مَنْ كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان ، وإذا حدّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر" رواه البخاري (محمد البخاري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 30).

قال ابن حجر العسقلاني : " والذي قاله المحققون : إن معناه أن هذه خصال نفاق ، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم ... وقيل هو محمول على من غلبت عليه هذه الخصال وتهاون بها واستخف بأمرها ، فإن من كان كذلك كان فاسد الاعتقاد غالباً " (د.ت ، ج1 ، ص ص 90 – 91).

فالأحاديث السابقة بيان لعظم قدر خلق الأمانة وأنها لازمة الاتصاف في حق المسلمين ، ومن كان على غير ذلك وخان فقد اتصف بصفات أهل النفاق ، فتربية الناشئة لا بد أن تُعنى بذلك عناية فائقة ؛ لينمو المتربي نمواً اجتماعياً سليماً ، فهو عند الآخرين مأمون لوفائه بحقوقهم وبُعده عن خيانتهم وغشهم .

وعندما يصبح المتربي أميناً ؛ فإنه يكتسب من ذلك – اجتماعياً – محبة الآخرين ، وثقتهم به ، وتحفظ بالأمانة ضروريات الإسلام من دين وعرض ومال ، ويفشو في المجتمع كل خير وبركة . (صالح بن حميد وآخرون ، 1418هـ)

10" – الاعتذار :

(1) المفهوم :

من الأخلاق والقيم والآداب الفاضلة التي يحتاج أن يتحلى بها المتربي حسن الاعتذار، والاعتذار في اللغة إذا (اِعْتَذَر) من الذنب أو اعتذر بمعنى (أعْذَرَ) أي صار ذا (عُذْر). (محمد الرازي ، ت 666 هـ ، ط 1358هـ ، ص 420) . ويقول أحمد بن فارس "وأعذَر فلان ، إذا أبْلى عُذْراً فلم يُلَمْ " (1420هـ ، ج2 ، ص ص 232 – 233).

وأما الاعتذار في الاصطلاح ؛ فهو كما قال أيوب الكفوي (ت 1094هـ) : " الاعتذار : إظهار ندم على ذنب تقر بأن لك في إتيانه عذراً ، فكل توبة ندم ولا عكس " (1419هـ ، ص 308) ، بينما يرى الراغب الأصفهاني : " أن العُذْر تحرّي الإنسان ما يمحو به ذنوبه" (د.ت ، ص 327) .

(2) جوانب في الاعتذار:

حتى يكون المعتذر حسن الاعتذار ؛ فإنه لا بد أن يدرك ويتعلم أساليبه ، وهي على ثلاثة أضرب : " إما أن يقول لم أفعل ، أو يقول فعلت لأجل كذا فيذكر ما يُخرجه عن كونه مذنباً ، أو يقول فعلت ولا أعود ونحو ذلك من المقال . وهذا الثالث هو التوبة فكل توبة عذر وليس كل عذر توبة " (الراغب الأصفهاني ، د.ت ، ص327 / محمد الفيروز آبادي ، ج4 ، ص ص 35 – 36 / أيوب الكفوي ، ت 1094 هـ ، ط 1419هـ ، ص 644).

وهكذا يحتاج الناشئة أن يتربوا على مثل هذه الأساليب التي يعتذرون بها من الآخرين عندما يحصل منهم خطأ أو زلل أو فعل فيه شبهة ؛ فيعذرهم الآخرون لنبل وحسن اعتذارهم وبيانهم للواقع الحق ؛ فيُصلحون ما أنكره الآخرون عليهم .

(3) الاعتذار في مصادر التربية الإسلامية :

الاعتذار في القرآن الكريم :

يقول الله تعالى في محكم التنزيل : "**وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**" (الأعراف : 164) ، قال عبدالرحمن السعدي : " فقال الواعظون : نعظهم وننهاهم (**مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ**) أي : لنعذر فيهم . (**وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**) أي : يتركون ما هم فيه من المعصية ، فلا نيأس من هدايتهم ، فربما نجع فيهم الوعظ ، وأثر فيهم اللوم . وهذا المقصود الأعظم من إنكار المنكر ليكون معذرة ، وإقامة حجة على المأمور المنهي ، ولعل الله أن يهديه فيعمل بمقتضى ذلك الأمر والنهي". (1423هـ ، ص 307) ، فهذا اعتذار من العباد لرب العباد ؛ حتى يسلموا من التقصير في حق الله ويدفعوا عن أنفسهم العقوبة من الله .

وقال تعالى : " **وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾** " (التوبة : 90) ، قال عبدالرحمن السعدي : " ويحتمل أن معنى قوله : (**ٱلْمُعَذِّرُونَ**) أي : الذين لهم عذر ، أتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعذرهم ، ومن عادته أن يعذر من له عذر " (1423هـ ، ص 347) ، فمسلك الاعتذار عند الحاجة مطلوب ، وإعذار من له عذر من شيم الرجال وهدي سيد الأنام عليه الصلاة والسلام ، فالأجيال الناشئة تتربى على أن تعتذر لمن أخطأت في حقه ، وكذلك عليها أن تعذر من يعتذرون لها إن هم أخطأوا في حقها .

الاعتذار في الحديث النبوي الشريف:

ومن الأحاديث التي تقدم للمتربين نماذج عظيمة في حسن الاعتذار ؛ ما رواه مسلم عن عائذ بن عمرو : أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر ، فقالوا : والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها ، قال : فقال أبو بكر : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال: "يا أبو بكر! لعلك أغضبتهم

، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك" فأتاهم أبو بكر فقال : يا إخوتاه ! أغضبتكم ؟ قالوا : لا ، يغفر الله لك يا أخي ! " رواه مسلم (مسلم النيسابوري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 1015) ، قال يحيى النووي : " وفي هذا فضيلة ظاهرة لسلمان ، ورفقته هؤلاء ، وفيه مراعاة قلوب الضعفاء ، وأهل الدين ، وإكرامهم ، وملاطفتهم " (1423هـ ، ص 1811).

وروى البخاري عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما صاحبكم فقد غامر ، فسلم وقال : يا رسول الله ، إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء ، فأسرعت إليه ثم ندمت ، فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ ، فأقبلت إليك . فقال : يغفر الله لك يا أبا بكر (ثلاثاً). ثم إن عمر ندم ، فأتى منزل أبي بكر فسأل : أثم أبو بكر ؟ فقالوا : لا فأتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعر ، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال : يا رسول الله ، والله أنا كنت أظلم (مرتين) . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله بعثني إليكم ، فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدق ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركو لي صاحبي ؟ (مرتين) . فما أوذي بعدها " رواه البخاري (محمد البخاري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 699)

الاعتذار في أقوال سلف الأمة وعلمائها:

وقد جاء عن سلف هذه الأمة من الآثار والأقوال ما يعضد ما سبق بيانه ، ومن ذلك ما ذكره ابن مفلح المقدسي (1419هـ ، ج1) :

- و" اعتذر رجل إلى الحسن بن سهل من ذنب كان له ، فقال له الحسن : تَقَدَّمَتْ لك طاعةٌ ، وحدثت لك توبة ، وكانت بينهما منك نَبْوَة ، ولن تغلب سيئة حسنتين " (ص 372).
- و" قال عبدالرحمن بن المبارك اليزيدي ، وكان معلماً حذاء دار أبي العلاء ، وقيل له : اليزيدي ؛ لأنه كان يؤدب ولد يزيد بن منصور الحميري – قال في أبيات :

أنا المذنب الخطّاء والعفو واسع ولو لم يكن ذنب لما عُرف العفو

قال ذلك يعتذر إلى المأمون ؛ لأنه امتن عليه بتأديبه إياه " (ص 372).

-

- و " قال الخرائطي – رحمه الله تعالى – : أنشدني محمد بن إسماعيل الإسحاقي :

إذا اعتذر الجاني محَا العذرُ ذنبَه وكان الذي لا يقبل العذرَ جانياً "

(صالح بن حميد وآخرون ، 1418هـ ، ج2 ، ص 396).

ويرزق من وفق لحسن الاعتذار محاسن عدة وفوائد اجتماعية جمة ؛ فبه تصفو القلوب ، ويكتسب التواضع ، وتستجلب المنافع من المعتذر إليه ، وتفشو المحبة بين العباد . (صالح بن حميد وآخرون ، 1418هـ)

وبذلك تتشكل شخصية المتربي الاجتماعية السوية ، وتربّى على الابتعاد عن كل ما يعتذر منه ، فإن فعل الاعتذار وحسن أدائه قيمة عظيمة ذات منافع اجتماعية تساعد على تماسك المجتمع المسلم.

11" – حسن الخلق :

(1) المفهوم :

الحسن ضد القبيح ، ويقال رجل حسن وامرأة حسناء . (أحمد بن فارس ، 1420هـ) .

والخلق : " حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر وروية " (إبراهيم مصطفى وآخرون ، د.ت ، ج1 ، ص252).

" وحقيقة (الخُلُق) : ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب ، فسمي خُلُقاً ، لأنه يصير كالخِلْقة في صاحبه . فأما ما طبع عليه فيسمى (الخِيم) فيكون الخِيم : الطبع الغريزي، والخُلُق : الطبع المتكَّلف" (عبدالرحمن بن الجوزي ، ط 1407هـ ، ج8 ، ص 428) .

ويعرف علي الماوردي فيقول : " حسن الخلق ، أن يكون سهل العريكة ، ليّن الجانب ، طلق الوجه ، قليل النفور ، طيّب الكلمة " (د.ت ، ص 237).

وعلى قدر ما تحقق التربية هذه المظاهر لحسن الخلق في ناشئتها ؛ فإن علاقاتهم ستؤدي إلى نجاحات باهرة في حياتهم الاجتماعية اليومية .

(2) جوانب في حسن الخلق :

يقول عبدالرحمن الميداني : " فالخلق المحمود : صفة ثابتة في النفس فطرية أو مكتسبة تدفع إلى سلوك إرادي محمود عند العقلاء . كالأخذ بالحق أو الخير أو الجمال وإن خالف الهوى ، وترك الباطل والشر والقبح وإن وافق الهوى أو الشهوة . ويمكن تمييز الأخلاق الحميدة من غيرها بأنها كل سلوك فردي أو اجتماعي تلتقي النفوس البشرية على استحسانه، مهما اختلفت أديانها ومذاهبها وعاداتها وتقاليدها ومفاهيمها . ويلحق به ما كان أثراً من آثاره أو فرعاً من فروعه " (1407هـ ، ج1 ، ص 16).

وهو بذلك يعطي معايير اجتماعية منضبطة لحسن الخلق ، فالإنسان قد يكون هواه مخالفاً للحق ولكنه يأخذ به ، وقد يكون هواه موافقاً للباطل فيتركه ؛ وبذلك يعوّد الصغير من نعومة أظفاره على مثل هذه المعايير في حياته الاجتماعية ، ويرى أمامه الوالدين والمربين يسلكون هذا المسلك ويعلمونه بأفعالهم وأقوالهم اتباع الحق وإن لم يوافق ميولهم ، واجتناب الباطل وإن رغبت فيه نفوسهم .

وحينما يحسن خلق العبد ؛ فإن نفسه تسلم نحو الأرفق والأحمد من الأفعال ، وذلك قد يكون في ذات الله تعالى ، وربما يكون فيما بين الناس . ويقدم ابن قيم الجوزية بياناً شافياً عن حقيقة حسن الخلق وأقسامه وجماع أمره وأركانه وطبائع النفوس وأثرها على الاتصاف بالخلق الحسن من عدمه ، فيقول : " ... قال الترمذي : قال عبدالله بن المبارك (حسن الخلق : طلاقة الوجه ، وبذل المعروف ، وكف الأذى) . وقال غيره : حسن الخلق قسمان : أحدهما : مع الله عز وجل ، وهو أن يعلم أن كل ما يكون منك يوجب عذراً ، وكل ما يأتي من الله يوجب شكراً ، فلا تزال شاكراً له ، معتذراً إليه ، سائراً إليه بين مطالعة منّته ، وشهود عيب نفسك وأعمالك. والقسم الثاني : حسن الخلق مع الناس . وجماعه أمران : بذل المعروف قولاً وفعلاً ، وكف الأذى قولاً وفعلاً . وهذا إنما يقوم على أركان خمسة : العلم ، والجود ، والصبر ، وطيب العود ، وصحة الإسلام . أما العلم : فلأنه يعرف معالي الأخلاق وسفسافها ، فيمكنه أن يتصف بهذا ، ويتحلى به ، ويترك هذا ويتخلى عنه ، وأما الجود: فسماحة نفسه وبذلها ، وانقيادها لذلك إذا أراده منها . وأما الصبر : فلأنه إن لم يصبر على احتمال ذلك والقيام بأعبائها لم يتهيأ له . وأما طيب العود : فأن يكون الله تعالى خلقه على طبيعة منقادة سهلة القياد ، وسريعة الاستجابة لداعي الخيرات ... وأما صحة الإسلام : فهو جماع ذلك والمصحح لكل خلق حسن ، فإنه بحسب قوة إيمانه وتصديقه بالجزاء ، وحسن موعود الله وثوابه يسهل عليه تحمل ذلك ، ويلذ له الاتصاف به ، والله الموفق والمعين " (د .ت ، ج7 ، ص ص 161 – 162) ، فما أحرى المربين أن يسعوا إلى بناء نفوس الناشئة على الطبيعة الكاملة التي ينشأ عنها كل خلق حسن ، وتجمع بين اللين والصلابة والصفاء ، وعلى تحقيق تلك الأركان الخمسة أثناء ممارسة العملية التربوية في محاضنها الاجتماعية .

(3) حسن الخلق في مصادر التربية الإسلامية :

حسن الخلق في القرآن الكريم :

يرى أحمد بن تيمية أن سورة (ن) هي سورة " الخلق " ، والخلق جماع الدين الذي بُعث به محمد صلى الله عليه وسلم ، وبذلك فسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى في نفس السورة : وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ" (القلم : 4) فقال : على دين عظيم . (د.ت)

ويزيد ابن قيم الجوزية على ما ذكره شيخه ابن تيمية ، فيقول عند الآية نفسها : " وهذه من أعظم آيات نبوته ورسالته ، لمن منحه الله فهماً ، ولقد سئلت أم المؤمنين عن خلقه صلى الله عليه وسلم ، فأجابت بما شفى وكفى ، فقالت : كان خلقه القرآن ، فهمَّ سائلها أن يقوم ولا يسألها شيئاً بعد ذلك ... فهذه كانت أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم المقتبسة من مشكاة القرآن ، فكان كلامه مطابقاً للقرآن تفصيلاً له ، وتبييناً ، وعلومه علوم القرآن، وإرادته وأعماله ما أوجبه وندب إليه القرآن ، وإعراضه وتركه لما منع منه القرآن ، ورغبته فيما رغب فيه ، وزهده فيما زهد فيه ، وكراهته لما كرهه ، ومحبته لما أحبه ، وسعيه في تنفيذ أوامره ، وتبليغه ، والجهاد في إقامته ، فترجمت أم المؤمنين لكمال معرفتها بالقرآن وبالرسول صلى الله عليه وسلم ، وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها : كان خلقه القرآن ، وفهم هذا السائل لها عن هذا المعنى ، فاكتفى به واشتفى " (1414هـ ، ج4 ، ص ص 509 – 510).

ونحن حينما نجعل مصدر تربيتنا لأبنائنا هو القرآن ، فيتعلمونه ويحفظونه ويتلونه حق تلاوته ؛ فيصبح القرآن لهم منهج حياة ، وتكون أخلاقهم القرآن كما كان خلق رسول الله عليه السلام ، ويُظهر إسماعيل بن كثير هذا المعنى بوضوح في تفسيره للآية : " ومعنى هذا أنه عليه السلام ، صار امتثال القرآن أمراً ونهياً ، سجية له ، وخلقاً تطبّعه ، وترك طبعه الجبلي ، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه . هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم ، من الحياء والكرم والشجاعة، والصفح والحلم، وكل خلق جميل . كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي : (أفٍ) قط ، ولا قال لشيء فعلته : لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله : ألا فعلته؟ وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً ، ولا مسست خزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا

شممت مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم " (1422هـ ، ج8 ، ص 189).

حسن الخلق في السنة النبوية الشريفة:

وفي الحديث عن أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن " رواه الترمذي وحسنه الألباني (محمد ناصر الدين الألباني ، 1408هـ ، ج1 ، ص 81) ؛ يبين ابن رجب الحنبلي معنى عظيم يغفل عنه البعض ، وذلك أن حسن الخلق من خصال التقوى، فيقول : "وقوله صلى الله عليه وسلم : (وخالق الناس بخلق حسن) هذا من خصال التقوى، ولا تتم التقوى إلا به ، وإنما أفرده بالذكر للحاجة إلى بيانه ، فإن كثيراً من الناس يظن أن التقوى هي القيام بحق الله دون حقوق عباده ، فنص له على الأمر بإحسان العشرة للناس ، فإنه كان قد بعثه إلى اليمن معلماً لهم ومفقهاً وقاضياً، ومَن كان كذلك ، فإنه يحتاج إلى مخالقة الناس بخلق حسن ما لا يحتاج إليه غيره ممن لا حاجة للناس به ولا يُخالطهم ، وكثيراً ما يغلب على من يعتني بالقيام بحقوق الله ، والانعكاف على محبته وخشيته وطاعته إهمال حقوق العباد بالكلية أو التقصير فيها ، والجمع بين القيام بحقوق الله وحقوق عباده عزيز جداً لا يقوى عليه إلا الكمّل من الأنبياء والصديقين " (1415هـ ، ج1 ، ص 473) ، وعلى هذا كان النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد " جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين تقوى الله وحسن الخلق ؛ لأن تقوى الله تُصلح ما بين العبد وبين ربه ، وحُسن الخلق يُصلح ما بينه وبين خلقه. فتقوى الله توجب له محبة الله ، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته " (ابن قيم الجوزية ، 1410هـ ، ص 84).

ويؤكد ابن القيم أن منشأ الأخلاق الفاضلة هو الخشوع وعلو الهمة ، فيقول : "... وأما الأخلاق الفاضلة : كالصبر ، والشجاعة ، والعدل ، والمروءة ، والعفة ، والصيانة، والجود، والحلم ، والعفو ، والصفح ، والاحتمال ، والإيثار ، وعزة النفس عن الدناءات ، والتواضع ، والقناعة، والصدق ، والإخلاص ، والمكافأة على الإحسان بمثله أو أفضل ، والتغافل عن زلات الناس، وترك الاشتغال بما لا يعنيه ، ولامة القلب من تلك الأخلاق المذمومة ، ونحو ذلك ؛ فكلها ناشئة عن الخشوع وعلو الهمة ... فمن علت همته ، وخشعت نفسه ، اتصف بكل

خلق جميل . ومن دنت همته، وطغت نفسه ، اتصف بكل خلق رذيل " (1410هـ ، ص ص 210 – 211).

حسن الخلق في أقوال سلف الأمة وعلمائها:

وقد نقل عبدالرحمن بن رجب آثاراً وأقوالاً لبعض السلف في حسن الخلق ، وكان منها ما يلي :

- " قال الحارث المحاسبي : ثلاثة أشياء عزيزة جداً ومعدومة : حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن الخلق مع الديانة ، وحسن الإخاء مع الأمانة .
- عن الحسن قال : حسن الخلق : الكرم والبذلة والاحتمال .
- وعن الشعبي قال : حسن الخلق : البذلة والعطية والبشر الحسن ، وكان الشعبي كذلك.
- وعن ابن المبارك قال : هو بسط الوجه ، وبذل المعروف ، وكف الأذى .
- وسئل سلام بن أبي مطيع عن حسن الخلق ، فأنشد :

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تُعطيه الذي أنت سائله

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله

هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله

- وقال الإمام أحمد : حسن الخلق : أن لا تغضب ولا تحتدّ ، وعنه أنه قال : حسن الخلق أن تحتمل ما يكون من الناس .

والمتربي الذي تربيه المؤسسات التربوية والتعليمية والاجتماعية على حسن الخلق ؛ فإنها تكسبه وتحقق له الفوائد الاجتماعية والنفسية العظيمة ؛ فيحبه الناس ، ويألفهم ويألفونه ، ويصبح عدوه صديقاً ، ويصلح ما بينه وبين الناس ، ويُستدل به على سماحة نفسه وكريم طبعه ؛ فيكثر المصافون ويقلّ المعادون . (صالح بن حميد وآخرون ، 1419 هـ)

12" – التعاون :

(1) المفهوم :

(العَوْنُ) في اللغة : الظهير على الأمر ، الواحد والاثنان والجمع والمؤنث فيه سواء ، والعرب تقول إذا جاءت السَّنة : جاء معها أعوانها ، يعنون بالسنة الجدب ، وبالأعوان الجراد والذئاب والأمراض ... ورجل مِعْوان : كثير المعونة للناس ... وفي الدعاء : ربِّ أعني ولا تُعن عليّ " (ابن منظور ، ط 1419هـ ، ج9 ، ص ص 484 – 485) ، وقال محمد الفيروز آبادي : " والتعاون والاعتوان : إعانة بعضهم بعضاً " (د.ت ، ج4 ، ص 113).

وأما التعاون على البر والتقوى في الاصطلاح فهو : " أن يظاهر المسلم أخاه ويعينه في فعل الخيرات ، وعلى طاعة الله – عز وجل – وتجنب معصيته " (صالح بن حميد وآخرون ، 1419هـ ، ج3 ، ص 1010).

(2) جوانب في التعاون :

قال عبدالرحمن بن خلدون : " إن الاجتماع الإنساني ضروري ، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم : الإنسان مدني بالطبع ... وإلا لم يكمل وجودهم وما أراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم" (1992م ، ج1 ، ص ص 68 – 71) ؛ فالتعاون إذاً واجب ديني وضرورة اجتماعية لا بد منها لتحقيق النمو الاجتماعي السليم للمتربي . والناس في باب التعاون أقسام ؛ قال علي الماوردي : " تنقسم أحوال من دخل في عداد الإخوان أربعة أقسام : منهم من يُعين ويستعين ، ومنهم من لا يعين ولا يستعين ، ومنهم من يستعين ولا يعين ، ومنهم من يعين ولا يستعين .

فأما المعين والمستعين ، فهو معاوِض منصِف ، يؤدي ما عليه ، ويستوفي ماله فهو كالمقرض : يُسعف عند الحاجة ، ويسترد عند الاستغناء ، وهو مشكور في معونته ، ومعذور في استعانته ، فهذا أعدل الإخوان .

وأما من لا يعين ولا يستعين ، فهو متروك ، قد منع خيره ، وقمع شره ، فهو لا صديق يُرجى ، ولا عدو يخشى . وقد قال المغيره بن شعبة رضي الله عنه : التارك للإخوان متروك .وإذا

كان كذلك فهو كالصورة الممثّلة : يروقك حسنها ، ويخونك نفعها ؛ فلا هو مذموم لقمع شره ، ولا هو مشكور لمنع خيره ، وإن كان باللوم أجدر ، وقد قال الشاعر :

وأسوأ أيام الفتى يوم لا يرى له أحدٌ يُزْرِي عليه ويُنكِرُ

غير أن فساد الوقت وتغير أهله ، يوجب شكر من كان شرّه مقطوعاً ، وإن كان خيره ممنوعاً ، كما قال المتنبي :

إنا لفي زمن ترك القبيح به من أكثر الناس إحسانٌ وإجمالُ

وأما من يستعين ولا يعين ، فهو لئيمٌ كَلٌّ ، ومهين مُستذَل ، قد قطع عنه الرغبة ، وبسط فيه الرهبة ، فلا خيرهُ يُرْجَى ، ولا شرّه يؤمن ، وحسبك مهانةً من رجل مستثقَل عند إقلاله ، ويُستَقَلّ عند استقلاله ، فليس لمثله في الإخاء حظّ ، ولا في الوداد نصيب ، وهو ممن جعله المأمون من داء الإخوان لا من دوائهم ، ومن سَمّهم لا من غِذائهم . وقال بعض الحكماء : شر ما في الكريم أن يمنعك خيرَه ، وخير ما في اللئيم أن يكفّ عنك شرّه . وقال ابن الرومي :

عذرنا النخل في إبداء شوكٍ يردّ به الأناملَ عن جَناهُ
فما للعوسَج الملعون أبدَى لنا شوْكاً بلا ثمر نراهُ ؟

وأما من يعين ولا يستعين ، فهو كريم الطبع ، مشكور الصنع ، وقد حاز فضيلتي الابتداء والاكتفاء فلا يُرى ثقيلاً في نائبة ، ولا يقعد عن نهضة في معونة ؛ فهذا أشرف الإخوان نفساً ، وأكرمهم طبعاً ؛ فينبغي لمن أوجد له الزمان مثله – وقل أن يكون له مِثل، لأنه البرّ الكريم ، والدُّر اليتيم – أن يَثْنِيَ عليه خِنصره ويعضّ عليه بناجذه ، ويكون به أشد ضِنًّا منه بنفائس أمواله ، وسَنِيّ ذخائره ، لأن نفع الإخوان عام ، ونفع المال خاص ، ومن كان أعمَّ نفعاً ، فهو بالادخار أحق : وقال الفرزدق :

يمضي أخوك فلا تلقى له خَلَفاً والمالُ بعد ذهاب المال مكتسَبُ

وقال آخر :

لكل شيء عدِمَته عِوَضٌ وما لفقدِ الصديقِ من عِوَضِ "

(1406هـ ، ص ص 173 – 174) .

وكلما نشأ المتربي على أن يكون ممن يعين غيره ولا يستعين بهم إلا بالله تعالى ؛ فإنه يحوز على المستوى الأعلى في علاقاته ونموه الاجتماعي ، وإن لم يكن كذلك ، فليس على الأقل من أن تسعى التربية الإسلامية التي يتلقاها المتربي في مظانّها أن تجعله ممن يعين ويستعين ، ويتجنب ويحذر أن يتمثل صفات الصنفين الآخرَين .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مبدأ التعاون من المبادئ الرئيسة لنجاح العملية التربوية والتعليمية ؛ فمن طرائق التعلم ما يسمى بـ (التعلم التعاوني) ، وهو " عبارة عن تفاعل مشترك بين عدد من الطلاب ، تختلف بينهم الفروق الفردية ، ويعملون في ورشة عمل ، ضمن أهداف ومهارات تعاونية للوصول لهدف محدد " (موسى البهدل ، 1425هـ ، ص7) . ومن أهداف هذا النموذج من التعلم :

- زرع روح التعاون والتكاتف والتواصل فيما بين الطلاب ، وفيما بينهم وبين المعلمين .
- تطوير المهارات والقدرات اللازمة لمواجهة الطالب لشؤونه الحياتية .
- تحمل المسؤولية .
- اتخاذ القرار السليم في حياته الاجتماعية .
- القدرة على النقاش والحوار الهادف .
- التعامل مع الآخرين بالحسنى .
- إيجاد روح المنافسة الاجتماعية الشريفة .
- مساعدة الآخرين .
- النشاط والحيوية والتفاعل .
- إتقان مهارة فن الاستماع للآخرين ، والرد بطريقة مباشرة ومهذبة .
- الجرأة والشجاعة الأدبية والاجتماعية . (موسى البهدل ، 1425هـ)

(3) التعاون في مصادر التربية الإسلامية :

التعاون في القرآن الكريم:

يقول الله تعالى : "**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**" (المائدة : 2) ، وقد أوضح ابن قيم الجوزية ما تضمنته هذه الآية من معان عظيمة، فقال : " وقد اشتملت هذه الآية على جميع مصالح العباد في معاشهم ومعادهم ، فيما بينهم بعضهم بعضاً ، وفيما بينهم وبين ربهم ، فإن كل عبد لا ينفك عن هاتين الحالتين ، وهذين الواجبين : واجب بينه وبين الله ، وواجب بينه وبين الخلق .

فأما ما بينه وبين الخلق : من المعاشرة والمعاونة والصحبة ، فالواجب عليه فيها أن يكون اجتماعه بهم ، وصحبته لهم ، تعاوناً على مرضاة الله وطاعته ، التي هي غاية سعادة العبد وفلاحه ولا سعادة له إلا بها، وهي البر والتقوى ، اللذان هما جماع الدين كله ... والمقصود أن المقصود من اجتماع الناس وتعاشرهم : هو التعاون على البر والتقوى ، فيعين كل واحد صاحبه على ذلك علماً وعملاً . فإن العبد وحده لا يستقل بعلم ذلك ولا بالقدرة عليه ، فاقتضت حكمة الرب سبحانه أن جعل النوع الإنساني قائماً بعضه ببعضه ، معيناً بعضه لبعضه " (1414هـ ، ج2 ،ص ص 93 – 94 ، 98).

التعاون في الحديث النبوي الشريف:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ؛ نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسَّر على معسر ؛ يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ؛ ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ؛ سهل الله له به طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ؛ إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن

عنده ، ومن بطَّأ به عمله ؛ لم يسرع به نسبه" رواه مسلم (مسلم النيسابوري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 1082) ، قال يحي النووي : " وهو حديث عظيم جامع لأنواع من العلوم، والقواعد ، والآداب ... ومعنى نفس الكربة : أزالها. وفيه فضل قضاء حوائج المسلمين ، ونفعهم بما تيسر من علم ، أو مال ، أو معاونة ، أو إشارة بمصلحة ، أو نصيحة ، وغير ذلك " (1425هـ ، ج9 ، ص ص23 – 24).

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " على كل مسلم صدقة . فقالوا : يا نبي الله فمن لم يجد ؟ قال : يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق . قالوا : فإن لم يجد ؟قال : يُعين ذا الحاجة الملهوف . قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : فليعمل بالمعروف ، وليمسك عن الشر، فإنها له صدقة ". رواه البخاري (محمد البخاري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 281) ، قال ابن حجر العسقلاني : " ... وقال الشيخ أبو محمد ابن أبي جمرة نفع الله به : ترتيب هذا الحديث أنه ندب إلى الصدقة ، وعند العجز عنها ندب إلى ما يقرب منها أو يقوم مقامها وهو العمل والانتفاع ، وعند العجز عن ذلك ندب إلى ما يقوم مقامه وهو الإغاثة ، وعند عدم ذلك ندب إلى فعل المعروف أي من سوى ما تقدم كإماطة الأذى ، وعند عدم ذلك ندب إلى الصلاة ، فإن لم يطق فترك الشر وذلك آخر المراتب " (د.ت ،ج3 ، ص ص 308 – 309).

ومما يُظهر التطبيق العملي للتعاون في سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ما يلي :

- عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء يحدّث قال : " لما كان يوم الأحزاب وخندقَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني التراب جلدة بطنه – وكان كثير الشعر – فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل من التراب يقول :

اللهم لو لا أنت ما اهتدينا	ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا	وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأُلى قد بغوا علينا	وإن أرادوا فتنة أبينا

قال : ثم يمدّ صوته بآخرها " رواه البخاري (محمد البخاري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 780).

التعاون في كلام السلف :

- " قال عطاء بن أبي رباح – رحمه الله تعالى – : " تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث فإن كانوا مرضى فعودوهم ، أو مشاغيل فأعينوهم ، أو كانوا نسوا فذكروهم " (أبو حامد الغزالي ، د.ت ، ج2 ، ص 261).
- و " قال أبو جعفر بن صهبان – رحمه الله تعالى –: "كان يُقال: أول المودة طلاقة الوجه ، والثانية التودد، والثالثة قضاء حوائج الناس " (صالح بن حميد وآخرون ، 1419هـ ، ج3 ، ص 1026).
- و " قال رجل لداود الطائي : أوصني ، فقال : اصحب أهل التقوى ، فإنهم أيسر أهل الدنيا مؤونة عليك ، وأكثرهم لك معونة " (أحمد الأصبهاني، ت430هـ، د.ت ، ج7، ص 346).
- و " قال أبو حمزة الشيباني – رحمه الله تعالى – لمن سأله عن الإخوان في الله من هم ؟ قال : هم العاملون بطاعة الله – عز وجل – المتعاونون على أمر الله – عز وجل – وإن تفرقت دورهم وأبدانهم" (صالح بن حميد وآخرون ، 1419هـ ، ج3 ، ص 1027).
- و " قال ابن المعتز – رحمه الله تعالى – :"من اتخذ إخواناً كانوا له أعواناً " (علي الماوردي ، د.ت ، ص 162).

والمتربي المتعاون مع غيره يستطيع تحقيق فوائد اجتماعية متعددة ؛ فهو يشعر بالقوة ، وبالتعاون ينزع من نفسه شعور العجز ، ويحب الخير للآخرين ، والمتعاون يساعد المجتمع على تقدمه وإنتاجه ونجاحه وتفوقه ، وبهذه القيمة يحصل الود والمحبة بين الناس ، ويتيسر تأثير كل فرد على إخوانه ، وتقبل كل فرد منهم آراء الآخرين ، وتُزال أسباب الحسد والحقد من القلوب الضعيفة ، وبالتعاون تنجز الأعمال الكبيرة التي لا يقدر عليها الأفراد ، وتدفع الأخطار المحدقة بالمجتمع. (صالح بن حميد وآخرون ، 1419هـ/ محمد المصري، ت 1397هـ ، ط 1403هـ)

13" – الحب والمحبة :

(1) المفهوم :

" الحُبُّ : نقيض البغض . والحُبُّ : الوداد والمحبة ... والمحبة : اسم للحب ... وهم يتحابون: أي يحب بعضهم بعضاً " (محمد بن منظور ، د.ت ، ج1 ، ص ص 989 – 290 ، 292)، ويقول الراغب الأصفهاني فيقول : " ... وحببتُ فلاناً ، يقال في الأصل بمعنى : أصبت حبَّة قلبه ، نحو : شغفته وكبدته وفأدته ، وأحببتُ فلاناً : جعلت قلبي معرَّضاً لحبّه ... والمحبة : إرادة ما تراه أو تظنه خيراً " (د.ت ، ص 105) .

وأما عن المفهوم اصطلاحاً ؛ فيوضحه ابن حجر العسقلاني بقوله : " ... والمحبة إرادة ما يعتقده خيراً ، قال النووي : المحبة الميل إلى ما يوافق المحب ، وقد تكون بحواسه كحسن الصورة ، أو بفعله إما لذاته كالفضل والكمال ، وإما لإحسانه كجلب نفع أو دفع ضرر. انتهى ملخصاً. والمراد هنا بالميل الاختياري دون الطبيعي والقسري" (1421هـ ، ج1، ص74)

وهذا ابن القيم يقف عند هذا المعنى فيقول : " ووضعوا لمعناها حرفين مناسبين للمسمى غاية المناسبة : (الحاء) التي من أقصى الحلق و(الباء) الشفوية التي هي نهايته ، فللحاء الابتداء وللباء الانتهاء ، وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب ، فإن ابتداءها منه وانتهاءها إليه " (1423هـ ، ج3 ، ص ص 436 – 437) .

(2) جوانب في المحبة :

العلماء عندما يتحدثون عن قيمة وخلق (المحبة) ؛ فإنهم – ولا بد – يتكلمون أول ما يتكلمون عن محبة الله تعالى : فضيلتها ، ومنزلتها ، والأسباب الجالبة لها ، وآثارها وشواهدها ؛ فيقول ابن القيم : " وهي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون ، وإلى عَلَمها شمّر السابقون ، وعليها تفانى المحبون ، وبِرَوْحِ نسيمها تروّح العابدون ؛ فهي قوت القلوب ، وغذاء الأرواح ، وقرة العيون ، وهي الحياة التي مَنْ حُرمها فهو من جملة الأموات ، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات ، والشفاء الذي من عدمه حلَّت بقلبه جميع الأسقام ،و اللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام " (د.ت ، ج3 ، ص 429).

وأما الأسباب الجالبة لمحبة الله فهي عشرة عند محمد الفيروز آبادي ، وهي :

"الأول قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وتفطن مراد الله منه .

الثاني : التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض ؛ فإنها توِّصل إلى درجة المحبوبية بعد المحبة .

الثالث : دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر .

الرابع : إيثار محابّه على محابّك عند غلبان الهوى .

الخامس : مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة .

السادس : مشاهدة برّه وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة .

السابع : – وهو من أعجبها – انكسار القلب بكليته بين يديه .

الثامن : الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه ، والوقوف بالقالب والقلب بين يديه ، ثم خَتْم ذلك بالاستغفار والتوبة .

التاسع : مجالسة المحبين والصادقين والتقاط أطايب ثمرات كلامهم وألا يتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلم أن فيه مزيداً لحاله .

العاشر : مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل . فمن هذه الأسباب وصل المحبون إلى منازل المحبة ، ودخلوا على الحبيب وفي ذلك أقول :

تلاوة فهم مع لزوم نوافل وذكر دواماً وانكسار بقلبه

وإيثار ما يرضي شهود عطائه ووقت نزول الحق يخلو بربه

مطالعة الأسما مجالسة القُدَى مجانبة الأهوا جوالب حُبه

(محمد الفيروز آبادي ، د.ت ، ج2 ، ص ص 421 – 422).

ومن آثار المحبة وشواهدها " ما ذكره أبو بكر الكتاني ، قال : جرت مسألة في المحبة بمكة أعزها الله تعالى – أيام الموسم – فتكلم الشيوخ فيها ، وكان الجنيد أصغرهم سناً ، فقالوا : هات ما عندك يا عراقي . فأطرق رأسه ، ودمعت عيناه . ثم قال : عبد ذاهب عن نفسه ، متصل بذكر ربه . قائم بأداء حقوقه ، ناظر إليه بقلبه ، فإن تكلم فبالله ، وإن نطق فعن الله ، وإن تحرك فبأمر الله ، وإن سكن فمع الله ، فهو بالله ولله ومع الله . فبكى الشيوخ وقالوا : ما على هذا مزيد ، جزاك الله يا تاج العارفين " (عبدالمنعم العزي ، د.ت ، ص 513) .

وأما ما يتعلق بأنواع المحبة غير محبة الله ؛ فإن المحبة " ضربان : أحدهما طبيعي ... والثاني اختياري ... وهذا الثاني أربعة أضرب :

الأول : للشهوة ، وأكثر ما يكون ذلك بين الأحداث .

والثاني : للمنفعة ، ومن جهة ما يكون بين التجار وأرباب الصناعات المهنية .

والثالث : ما يكون مركباً من ضربين ، كمن يحب آخر للنفع ، وذلك يحبه للشهوة .

والرابع : للفضيلة كمحبة المتعلم للعالم ، وهذه المحبة باقية على مرور الأوقات ... وأما الضروب الأخر فقد تطول مدتها وتقصر بحسب أسبابها " (الراغب الأصفهاني ، 1400هـ ، ص ص 252 – 253).

ويقول علي بن حزم (ت 456هـ) "... إن المحبة ضروب . فأفضلها محبة المتحابين في الله عزل وجل : إما لاجتهاد في العمل ، وإما لاتفاق في أصل النحلة والمذهب ، وإما لفضل علم يُمنحه الإنسان . ومحبة القرابة ، ومحبة الألفة والاشتراك في المطالب ، ومحبة التصاحب والمعرفة ، ومحبة البر يضعه المرء عند أخيه ، ومحبة الطمع في جاه المحبوب ، ومحبة المتحابين لسرٍّ يجتمعان عليه يَلْزَمُهما سترُه ، ومحبة بلوغ للذة وقضاء الوطر ، ومحبة العشق التي لا علة لها إلا ما ذكرنا من اتصال النفوس " (د.ت ، ص 7) .

(3) المحبة في مصادر التربية الإسلامية :

تسعى التربية الإسلامية إلى غرس قيمة المحبة في نفوس الناشئة ؛ فتقدم لهم البرامج المختلفة ليكون الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما ، وألا يحبوا أحداً – كائناً من كان – إلا في الله ، فتهيأ لهم أجواء تربوية متنوعة يمارسون من خلالها الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى – كما سبق بيانها – ويحبون الناس ويحبون الخير لهم ، ويتوددون إليهم ويتحنون عليهم ويرأفون بهم ويرحمونهم ، والأمر كما يصفه مرزوق بن تنباك ، حيث يقول : " إن ترسيخ مفاهيم حب الخير وخدمة الآخرين ، والحرص عل النفع العام والخاص وتربية أبناء المجتمع على هذه الفضائل ، إضافة إلى التعاون الجماعي في تحقيق كل ما فيه خير الناس وصلاح أحوالهم ، وتوجيه ذلك عن طريق المؤسسات والجمعيات الخيرية المدعومة ؛ يمكن أن يحقق الفوائد النفسية التالية :

- إحياء النفوس ، والتأليف بينها ، وتقريب بعضها من بعض .
- معالجة مشكلات الفقر ، واليتم ، والبطالة .

- طمس بواعث الأنانية والأثرة ، والتطهر من رذائل أخلاقية كثيرة ، مثل الحرص والطمع والبخل .
- النهوض بالمجتمع عن طريق تنشيط حوافز الإعمار والبناء .
- الرقي بالمجتمع من الناحية الإنسانية ، وتغليب مبادئ التعاون والتكافل .
- إذابة الفروق الاجتماعية وتحقيق التماسك والترابط والتآزر بين الفئات المختلفة في المجتمع .
- تخليص المجتمع من أمراض اجتماعية كجرائم السرقة والفحش والخنا والمخدرات وغيرها.

إن حب الخير عنوان تقدم وحضارة ، وقيمة جمالية تمنح المجتمع رونقاً وبهاءً وتضيف إليه ميزة تجعله يهيمن على المجتمعات الأخرى بهذه الخصلة العظيمة ... والناس يألفون من يحب الخير لهم ، وينجذبون نحوه ، وذلك كما قالت عائشة رضي الله عنها : (جبلت قلوب الناس على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها) ... ومحب الخير محبوب مرغوب، يأنس به الناس ، ويرجون مودته ، ويفتقدونه إذا غاب ، ويكون منهم بمنزلة إذا حضر . وليس معنى هذا البذل فحسب ، بل يتمثل حب الخير في أمور كلها يؤول إلى صلاح النفس وتخليصها من الأحقاد والآلام ، والوصول بالمجتمع إلى درجة من التماسك والتراحم والاطمئنان . وقد قيل الخالد بن صفوان : أي إخوانك أحب إليك ؟ قال : الذي يغفر زللي ، ويقلل عللي ، ويسد خللي " (د.ت ، ج18 ، ص ص 12 – 14) .

الحب في القرآن الكريم :

لقد ضرب الأنصار أروع الأمثلة في التحلّي بهذه الصفة العظيمة ، فيقول الله تعالى في شأنهم : " وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ " (الحشر : 9) ، قال إسماعيل بن كثير : " قوله تعالى (يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ) أي من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم" (1421هـ ، ص 1365) ، ويقول عبدالرحمن السعدي في تفسير الآية نفسها : " ... الذين من جملة أوصافهم الجميلة أنهم (يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ) وهذا لمحبتهم لله ورسوله ، أحبوا أحبابه ، وأحبوا من نصر دينه " (1417هـ ، ص 789).

الحب في الحديث النبوي الشريف:

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : ... ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ... " رواه البخاري (محمد البخاري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 141) ، ورواه مسلم (مسلم النيسابوري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 397) ، قال يحيى النووي : " اجتمعا على حب الله وافترقا على حب الله ، أي كان سبب اجتماعهما حب الله ، واستمرّا على ذلك حتى تفرقا من مجلسهما ، وهما صادقان في حب كل واحد منهما صاحبه لله تعالى حال اجتماعهما وافتراقهما . وفي هذا الحديث الحث على التحابّ في الله ، وبيان عظم فضله وهو من المهمات ، فإن الحب في الله والبغض في الله من الإيمان ، وهو بحمد الله كثير يوفق له أكثر الناس أو من وفق له " (1424هـ ، ج8 ، ص 131).

وفي الحديث الآخر ؛ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي ، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي" رواه مسلم، وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : " أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى ، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال أريد أخاً لي في هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربُّها ؟ قال : لا ، غير أني أحببته في الله عز وجل ، قال: فإني رسول الله إليك ، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه " رواه مسلم (مسلم النيسابوري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 1036) ،

قال يحيى النووي : " في هذا الحديث : فضل المحبة في الله تعالى ، وأنها سبب لحب الله تعالى العبد . وفيه فضيلة زيارة الصالحين ، والأصحاب " (1424هـ ، ج8 ، ص 126).

وعند مسلم أيضاً ؛ عن أنس بن مالك ؛ أن أعرابياً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : متى الساعة ؟ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أعددت لها ؟ قال : حب الله ورسوله ، قال : أنت مع من أحببت . وعنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! متى الساعة ؟ قال : وما أعددت للساعة ؟ قال: حب الله ورسوله ، قال : فإنك مع من أحببت ، قال أنس : فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي صلى الله عليه وسلم : فإنك مع من أحببت ، قال أنس : فأنا أحب الله ورسوله ، وأبا بكر وعمر ، فأرجو أن أكون معهم ، وإن لم أعمل بأعمالهم " رواه مسلم (مسلم النيسابوري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 1058) ، قال يحيى النووي : " ، فيه : فضل حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والصالحين وأهل الخير الأحياء والأموات ، ومن فضل محبة الله ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيهما ، والتأدب بالآداب الشرعية ، ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم ؛ إذ لو عمله لكان منهم ومثلهم " (1424هـ ، ج8 ، ص 189) ، وقال محمد العظيم آبادي : " (المرء مع من أحب) يعني: من أحب قوماً بالإخلاص يكون من زمرتهم وإن لم يعمل عملهم لثبوت التقارب بين قلوبهم ، وربما تؤدي تلك المحبة إلى موافقتهم ، وفيه حث على محبة الصلحاء والأخيار رجاء اللحاق بهم والخلاص من النار" (1419هـ، ج14، ص 25)

وعن المقداد بن معدي كرب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه " رواه أبو داود وصححه الألباني (سليمان السجستاني ، 1419هـ ، ج1 ، ص 552) ، قال محمد العظيم آبادي : " لأن في الإخبار بذلك استمالة قلبه واستجلاب زيادة المحبة .

وهكذا تستفيد التربية الإسلامية مما ورد في الكتاب والسنة حول المحبة ؛ فينشأ المتربون على آداب هذه القيمة الشريفة من الاقتداء بالأنصار وحبهم لإخوانهم المهاجرين ، وأن يقول المتربي لصاحبه : إني أحبك في الله ، وأن يعلّم مثل هذه المواقف وتلك الأجور المترتبة على المحبة (المرء مع من أحب) ، وأن تكون المحبة لله وفي الله ، وأن يكون الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما ، وأن يؤثروا إخوانهم على أنفسهم .

المحبة في أقوال السلف والعلماء :

- قال أحمد بن تيمية : " فإنك إذا أحببت الشخص لله كان الله هو المحبوب لذاته ، فكلما تصورته في قلبك تصورت محبوب الحق فأحببته ، فازداد حبك لله ، كما إذا ذكرت النبي صلى الله عليه وسلم ، والأنبياء قبله ، والمرسلين وأصحابهم الصالحين ، وتصورتهم في قلبك ، فإن ذلك يجذب قلبك إلى محبة الله المنعم عليهم ، وبهم ، إذا كنت تحبهم لله، فالمحبوب لله يجذب إلى محبة الله ، والمحب لله إذا أحب شخصاً لله فإن الله هو محبوبه ، فهو يحب أن يجذبه إلى الله تعالى ، وكل من المحب لله والمحبوب لله يجذب إلى الله " (1416هـ ، ص10 ، ص 608).
- قال ابن قدامة المقدسي : " علاقة المحبة كمال الأنس بمناجاة المحبوب ، وكمال التنعم بالخلوة ، وكمال الاستيحاش من كل ما ينقص عليه الخلوة . ومتى غلب الحب والأنس صارت الخلوة والمناجاة قرة عين تدفع جميع الهموم ، بل يستغرق الحب والأنس قلبه ، حتى لا يفهم أمور الدنيا ، ما لم يتكرر على سمعه مراراً (1422هـ ، ص 466).
- قال ابن القيم : " ولا ينال رضا المحبوب وقربه والابتهاج والفرح بالدنو منه والزلفى لديه إلا على جسر من الذلة والمسكنة وعلى هذا قام أمر المحبة فلا سبيل إلى الوصول إلى المحبوب إلا بذلك " (د.ت ، ج1 ، ص24).
- وقال أيضاً : " ... فالمحب الصادق إن نطق نطق لله وبالله وإن سكت سكت لله وإن تحرك فبأمر الله وإن سكن فسكونه استعانة على مرضات الله فهو لله وبالله ومع الله " (د.ت ، ج1 ، ص160).
- وقال كذلك : " فكيف بالمحبة التي هي حياة القلوب وغذاء الأرواح ، وليس للقلب لذة، ولا نعيم ، ولا فلاح ، ولا حياة إلا بها ، وإذا فقدها القلب كان ألمه أعظم من ألم العين إذا فقدت نورها ، والأذن إذا فقدت سمعها ، والأنف إذا فقد شمه ، واللسان إلا فقد نطقه ، بل فساد القلب إذا خلا من محبة فاطره وبارئه وإلهه الحق أعظم من فساد البدن إذ خلا من الروح ، وهذا الأمر لا يصدق به إلا من فيه حياة ، وما لجرح بميت إيلام " (1417هـ ، ص 313).

ومما يحسن ذكره نقل بعض الأخبار التي أشار إليها عبدالله بن قتيبة (ت 276هـ ، د.ت ، ج3) عن المحبة :

- " عن مجاهد قال : ثلاث يُضفين لك ودّ أخيك : أن تبدأه بالسلام إذا لقيته ، وتوسع له في المجلس ، وتدعوه بأحب أسمائه إليه . وثلاث من العيّ : أن تعيب على الناس ما تأتي، وأن ترى من الناس ما يخفى عليك من نفسك ، وأن تؤذي جليسك فيما لا يعنيك " (ص 9).
- " وكان يقال : لا يكن حبك كَلَفاً ، ولا بغضك تَلَفاً . أي لا تُسرف في حبك وبغضك. ونحوه قول الحسن : أحبّوا هوناً ، فإن أقواماً أفرطوا في حبّ قوم فهلكوا " (ص 9).
- " وقال آخر : من جمع لك مع المودة الصادقة رأياً حازماً ، فاجمع له مع المحبة الخالصة طاعة لازمة " (ص11).
- " قال بعضهم :

تعصي الإله وأنت تزعم حبه هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع "

(صالح بن حميد وآخرون ، 1418هـ ، ج8 ، ص 3356).

وتستجلب التربية الإسلامية فوائد جمة للمتربين إذا هي زرعت فيهم هذا الخلق الرفيع (المحبة) ، فالمتصف بهذه القيمة يشعر بالنعيم والسرور في حياته الاجتماعية ، وفيها التسلّي عن المصائب ، وتظهر آثارها عند الشدائد والكربات ، ويتلاحم بها أفراد المجتمع . (صالح بن حميد وآخرون ، 1418هـ)

14" – الوفاء بالعهد والوعد :

(1) المفهوم :

جاء المعنى في اللغة كما قال أحمد بن فارس : " (وفى) : الواو والفاء والحرف المعتل كلمة تدل على إكمال وإتمام . منه الوفاء : إتمام العهد وإكمال الشرط ، ووَفَى ، فهو وفِيّ؛ ويقولون : أوفيتك الشيء ، إذا قضيته إياه وافياً ، وتوفيت الشيء واستوفيته ؛ إذا أخذته كله حتى لم تترك منه شيئاً، ومنه يقال للميت : توفاه الله " (1420هـ ، ج2 ، ص640) ، و"(وَفى): بالعهد ، كوعى ، وفاءً : ضد غدر" (محمد الفيروز آبادي ، 1424هـ ، ص 1343) ، ويقول الراغب الأصفهاني : " الوافي : الذي بلغ التمام " (د.ت ، ص 528).

وأما في الاصطلاح ؛ فيقول علي الجرجاني : " الوفاء : هو ملازمة طريق المواساة ، ومحافظة عهود الخلطاء " (د.ت ، ص 281) ، ويقول الراغب الأصفهاني : " الوفاء صدق اللسان والفعل معاً " (صالح بن حميد وآخرون، 1418هـ ، ج8 ، ص 3639).

(2) جوانب في الوفاء بالعهد والوعد :

إن خلق الوفاء من الأخلاق الكريمة والشيم الفاضلة التي يحمد عليها من اتصف بها، ويقول شهاب الدين الأبشيهي (ت 827 هـ) : " فالوفاء من شيم النفوس الشريفة ، والأخلاق الكريمة ، والخلال الحميدة ، يعظم صاحبه في عيون الأخبار ، وتصدق فيه خطرات الظنون ، ويقال: الوعد وجه ، والإنجاز محاسنه ، والوعد سحابة ، والإنجاز مطره . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لكل شيء رأس ، ورأس المعروف تعجيله " (د.ت ، ص 211).

وعندما يحصل الوفاء بالعهد بين الناس ؛ فإن ذلك يرسي دعائم الثقة بينهم ويؤكد أواصر التعاون في المجتمع . ويعتبر الإنسان وافياً بوعده إذا صبر على أداء ما يَعدُ به الآخرين، ويبذله من تلقاء نفسه ، ويرهنه به لسانه حتى لو سبَّب له الضرر . قال عمرو الجاحظ (ت 255هـ) : " وكلما أضر به الدخول تحت ما حكم به على نفسه كان أبلغ في الوفاء " (ط 1410هـ ، ص 24) . (صالح بن حميد وآخرون ، 1418هـ)

ومن الوفاء الوفاء بالعهد . والعهود ما أحلّ الله وحرّم ، وما فرض ، وما حدَّ في القرآن كله – كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما – ومنه الوفاء بالعقد ، وقيل : العقود أوكد

العهود ، وقيل : هي عهود الإيمان والقرآن ، وقيل : هي ما يتعاقده الناس فيما بينهم . (صالح بن حميد وآخرون ، 1418هـ)

(3) الوفاء في مصادر التربية الإسلامية :

الوفاء في القرآن الكريم:

- يقول تعالى في محكم التنزيل : " **لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** " (البقرة : 177) ، قال إسماعيل ابن كثير : " وعكس هذه الصفة النفاق ، كما صح في الحديث: (آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان) ، وفي الحديث الآخر : (إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر) " (1419هـ ، ج1 ، ص 453) ، وقال محمد الطاهر بن عاشور عند تفسيره للآية : " وذكر الوفاء بالعهد لما فيه من الثقة بالمعاهد ومن كرم النفس وكون الجِد والحق لها دربة وسجية، وإنما قيد بالظرف وهو إذا عاهدوا أي وقت حصول العهد فلا يتأخر وفاؤهم طرفة عين ، وفيه تنبيه على وجوب الاحتياط عن بذل العهد بحيث لا يعاهد حتى يتحقق أنه يستطيع الوفاء كأنه يقول: فإن علموا ألا يفوا فلا يعاهدوا ... والوفاء بالعهد فيه فضيلة فردية وهي عنوان كمال النفس ، وفضيلة اجتماعية وهي ثقة الناس بعضهم ببعض " (د.ت ، ج2 ، ص ص 131 – 132) ،

وقال الله تعالى : " **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾** " (الإسراء : 34) ، قال عبدالرحمن السعدي : " **(وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ)** الذي عاهدتم الله عليه ، والذي عاهدتم الخلق عليه. **(إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا)** أي : مسؤولين عن الوفاء به وعدمه ، فإن وفيتم ؛ فلكم الثواب الجزيل ، وإن لم تفوا ؛ فعليكم الإثم العظيم " (1423هـ ، ص 83) .

ويقول عز من قائل : " مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ " (الأحزاب : 23) ، قال عبدالرحمن السعدي في شرحه لهذه الآية : " ولما ذكر أن المنافقين عاهدوا الله ، لا يولون الأدبار ، ونقضوا ذلك العهد ، ذكر وفاء المؤمنين به ، فقال : (مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ) أي : وفوا به ، وأتموه ، وأكملوه ، فبذلوا مهجهم في مرضاته ، وسبَّلوا أنفسهم في طاعته . (فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ) أي : إرادته ومطلوبه وما عليه من الحق ، فقُتل في سبيل الله ، أو مات مؤدياً لحقه لم ينقصه شيئاً . (وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ) تكميل ما عليه ، فهو شارع في قضاء ما عليه ، ووفاء نحبه ولما يكمله ، وهو في رجاء تكميله ، ساع في ذلك مجد. (وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا) كما بدل غيرهم ، بل لم يزالوا على العهد ، لا يلوون ولا يتغيرون ، فهؤلاء الرجال على الحقيقة ، ومن عداهم فصورهم صور رجال وأما الصفات فقد قصرت عند صفات الرجال " (1423هـ ، ص 661) .

ويقول سبحانه : " وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ " (المعارج : 32) ، قال عبدالرحمن السعدي في تفسيره للآية : " أي : مراعون لها ، حافظون مجتهدون على أدائها والوفاء بها ، وهذا شامل لجميع الأمانات ... شامل للعهد الذي عاهد عليه الله ، والعهد الذي عاهد عليه الخلق ، فإن العهد يُسأل عنه العبد ، هل قام به ووفاه ، أم رفضه وخانه فلم يقم به ؟ " (1423هـ ، ص 887) .

وهكذا يُعنى منهج التربية الإسلامية بالتنشئة على صفات أهل الإيمان ، وعلى رأسها: وفاؤهم بالعهود ؛ فيتجنبوا بذلك صفات أهل النفاق من الكذب والخيانة ، وليتحصلوا على كمال نفوسهم ، وثقة الناس لهم ، وأهم ما يربّى عليه النشء الوفاء بالعهد مع الله تعالى بإتمامه وإكماله على ما يحب سبحانه ويرضاه .

الوفاء في السنة النبوية الشريفة:

وتأتي السنة النبوية مؤكدة لوجوب الوفاء بالعهود حتى مع الكفار ؛ فعن الحسن بن علي بن أبي رافع أن أبا رافع أخبره قال : بعثتني قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ألقي في قلبي الإسلام فقلت : يا رسول الله إني والله لا أرجع إليهم أبداً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إني لا أخيس بالعهد ولا أحبس

البُرُد ولكن ارجع فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن فارجع . قال : فذهبت ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأسلمت " رواه أبو داود وصححه الألباني (محمد ناصر الدين الألباني ، 1408هـ ، ج1 ، ص 494) ، قال ابن قيم الجوزية : " لا أخيس بكسر الخاء المعجمة بعدها تحتية أي لا أنقض العهد ، من خاس الشيء في الوعاء إذا فسد ... قال الخطابي : ... وفي قوله ولا أخيس بالعهد أن العهد يراعى مع الكافر كما يراعى مع المسلم ، وأن الكافر إذا عقد لك أمان فقد وجب عليك أن تؤمنه ولا تغتاله في دم ولا مال ولا منفعة " (1419هـ ، ج7 ، ص 311).

وعن حذيفة بن اليمان قال : ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا وأبي حُسيلٌ قال : فأخذنا كفار قريش ، قالوا : إنكم تريدون محمداً ، فقلنا : ما نريده ، ما نريد إلا المدينة ، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه: لننصرفن إلى المدينة ، ولا نقاتل معه ، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرناه الخبر فقال : انصرفا نفي لهم بعهدهم ، ونستعين الله عليهم. رواه مسلم (مسلم النيسابوري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 744) ، وقال محمد الأبي (ت 827هـ) : " فيه وجوب الوفاء بالعهد وإن كان أكره عليه " (ط 1415هـ ، ج6 ، ص 430).

الوفاء في أقوال سلف الأمة وعلمائها:

وقد أورد عبدالله بن قتيبة (د.ت ، ج3) بعض الأقوال والآثار في الوفاء بالعهد ، فكان من ذلك :

- " ذكر جبّارُ بن سُلمى عامرَ بن الطفيل ، فقال : كان والله إذا وعد الخير وفّى ، وإذا أوعد بالشر أخلف وعفا " (ص 144).
- " قال عمرو بن الحارث : كنت متى شئت أجد من يَعد ويُنجز ، فقد أعياني مَنْ يَعِد ولا يُنجز . قال : وكانوا يفعلون ولا يقولون ، فقد صاروا يقولون ويفعلون ، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون ، ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون " (ص 145).
- " وعد عبدالله بن عمر رجلاً من قريش أن يزوّجه ابنته ؛ فلما كان عند موته أرسل إليه فزوّجه إياها ، وقال : كرهت أن ألقى الله عز وجل بثلث النفاق " (ص 146).
- " وأنشد أبو عمرو بن العلاء :

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتي ويأمن مني صولة المتهدِّد

وإني إن أوعدتُه أو وعدتُه لَيكذِبُ إيعادي ويَصْدُقُ مَوْعِدِي " (ص144)

- " وقال زياد الأعجم :

لله درك من فتى لو كنت تفعل ما تقول

لا خير في كذب الجوا د وحبذا صدق البخيل " (ص 146).

وهكذا تتحصل الناشئة عند اتصافها بهذا الخلق الكريم على فوائد مهمة ؛ فبه تتحقق الثقة بين أفراد المجتمع ، ويحسن التعامل ويقلّ التنافر فيما بينهم ، وينشأ المجتمع الإسلامي القوي ، ويجد من يتصف بهذه القيمة سعادة عظيمة في نفسه . (صالح بن حميد وآخرون ، 1418هـ)

15" – اختيار الصحبة الصالحة :

(1) المفهوم :

يدور كلام العلماء في مفهوم الصاحب لغة على الملازم والقرين ؛ فهذا الراغب الأصفهاني يقول : " الصاحب : الملازم إنساناً كان أو حيواناً ، أو مكاناً ، أو زماناً. ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن – وهو الأصل والأكثر – أو بالعناية والهمة ، وعلى هذا يقال : لئن غبت عن عيني لما غبت عن قلبي . ولا يقال في العرف إلا لمن كثرت ملازمته ... والمصاحبة والاصطحاب أبلغ من الاجتماع ؛ لأجل أن المصاحبة تقتضي طول لبثه ، فكل اصطحاب اجتماع ، وليس كل اجتماع اصطحاباً ... وقد سمي النبي عليه السلام صاحبهم تنبيهاً أنكم صحبتموه ، وجربتوه وعرفتموه ظاهره وباطنه ، ولم تجدوا به خبلاً وجنة ، وكذلك قوله : " **وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ** " (التكوير : 22) . ويؤكد هذا المعنى اللغوي عبدالرحمن بن الجوزي حيث يرى أن " الصاحب : القرين ، والجمع صَحْب وصُحَاب وأصْحاب . ويقال للسيد: صاحب ، وللعبد: صاحب ، وللعالم : صاحب ، وللمتعلم : صاحب ، والأصل فيه الاقتران في المصاحبة " (1407هـ ، ص 392).

وتعرف الصحبة أنها : " ألفة الناس ومخالطتهم ومعاشرتهم بما يقتضيه كل ذلك من رعاية حقوق الأصحاب ، من الزيارة والمؤانسة والتهاني والتعازي والسؤال عن أحوال الأصحاب وكافة حقوق الصحبة على سعتها ، ويقابلها ويضادها الانطواء والاعتزال" (مرزوق بن تنباك ، د.ت، ج34، ص ص 8 – 9).

والصحبة قد تكون صالحة وقد تكون غير ذلك ، و " الصالح : هو الخالص من كل فساد " (علي الجرجاني ، د.ت ، ص 149 / عبدالرؤوف المناوي ، 1410هـ ، ص 211) ، والصالح عرفاً : " القائم بما وجب عليه من حقوق الحق والخلق " (عبدالرؤوف المناوي، 1410هـ، ص 211) ،

(2) جوانب في الصحبة الصالحة :

عندما يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل " رواه أبو داود والترمذي وحسنه الألباني (محمد ناصر الدين الألباني ، 1408هـ ، ج1 ، ص 664) ؛ فإنه يؤكد أن ليس كل إنسان صالحاً بأن يكون صاحباً ، فلا بد أن يتميز الصاحب بصفات وأخلاق تُرغِّب في صحبته ، ويكون متحلياً بالفضائل ، ومتسماً بالجمائل ؛ لتحقيق الفوائد الدينية والدنيوية.

ومن أهم تلك الخصال : العقل ، وحسن الخلق ، والدين، وملازمة السنة ، وعدم الحرص على الدنيا. (أبوعبدالرحمن السلمي، ت 412هـ، ط1410هـ / الإمام الغزالي ، د.ت / مرزوق بن تنباك ، د.ت).

وقد أكدّ علي الماوردي هذه الحقيقة ، وحدّد خصالاً أربعاً للصاحب ، وبيّن أنه لا بد من " سَبْر الإخوان قبل إخائهم ، وخبرة أخلاقهم قبل اصطفائهم ، فالخصال المعتبرة في إخائهم بعد المجانسة التي هي أصل الاتفاق ، أربع خصال :

1. عقل موفور يهدي إلى مراشد الأمور ، فإن الحمق لا تثبت معه مودة ، ولا تدوم لصاحبه استقامة ...
2. الدين الواقف بصاحبه على الخيرات ، فإن تارك الدين عدو لنفسه ، فكيف يرجى منه مودة غيره ...
3. أن يكون محمود الأخلاق ، مرضي الفِعال ، مؤثراً للخير ، آمراً به ، كارهاً للشر ، ناهياً عنه ، فإن مودة الشرير تكسب العداء ، وتفسد الأخلاق ...
4. أن يكون من كل واحد منهما ميل إلى صاحبه ، ورغبة في مؤاخاته ، فإن ذلك أوكد لحال المؤاخاة ، وأمدّ لأسباب المصافاة ..." (1988م ، ص 166 – 167).

والصحبة تقتضي المخالطة ، ومن الناس من مخالطته كالغذاء ، ومنهم كالدواء ، ومنهم كالداء ، وآخرون كالسم ، والمسلم حري به أن يصاحب أهل الغذاء ، ويستفيد من أهل الدواء ، ويدفع عن نفسه الضرر بالابتعاد عن أهل الداء ، ويتجنب الهلاك بسبب مصاحبة من هم بمنزلة السموم ، وفي هذا يقول ابن قيم الجوزية : " وأما فضول المخالطة : فهي الداء العضال الجالب لكل شر ، وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة ، وكم زرعت من عداوة ، وكم غرست في القلب من حزازات تزول الجبال الراسيات ، وهي في القلوب لا تزول، ففضول المخالطة فيه خسارة الدنيا والآخرة ، وإنما ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة .بمقدار الحاجة ."(1425هـ ، ص ص 374 – 376)

وقد أطال علماء التربية الإسلامية الحديث عن آداب الصحبة ؛ وهذا دليل على أهمية هذا الأمر ، فالنفس مفطورة على الانتماء والاندماج مع جماعة الرفاق والأصحاب .

وعليه ؛ فالمتربي يحتاج إلى أن يعلَّم هذه الآداب ويتدرَّب عليها ويرى من والديه وإخوته الكبار نماذج صالحة في التعامل مع الأصحاب والأصدقاء ، وهذا كله بعدما يوفَّق المتربي إلى اختيار الصحبة الصالحة ، وهو دور ريادي وبالغ الأهمية للمسؤولين عن تربيته .

وقد ذكر أبو عبدالرحمن السلمي في كتابة جملة من آداب الصحبة ، وهي :

- حسن الخلق مع الإخوان والأقران والأصحاب .
- تحسين ما يعانيه من عيوب إخوانه ، وسترها .
- الصفح عن عثرات الإخوان ، وترك تأنيبهم عليها .
- أن يحمد إخوانه على حسن نياتهم ، وإن لم يساعدهم العمل .
- أن لا يحسد إخوانه على ما يرى عليهم من آثار نعم الله ، بل يفرح بذلك ، ويحمد الله على ما يرى من النعمة عليهم ، كما يحمده بنعمته على نفسه .
- أن لا يواجه أخاً من إخوانه بما يكره .
- ملازمة الحياء في كل حال .
- بشاشة الوجه ، ولطف اللسان ، وسعة القلب ، وبسط اليد ، وكظم الغيظ ، وإسقاط الكبر ، وملازمة الحرمة ، وإظهار الفرح بما رزق من عشيرته وإخوته .
- ألا يصحب إلا عاقلاً ، وعالماً ، وحليماً تقيّاً .
- أن لا يعد أخاه وعداً ، ثم يخلفه ، فإنه من النفاق .
- صحبة من يُستحيى منه ، ويحتشمه ليزجره ذلك من المخالفات .
- أن يحفظ في عشرته صلاح إخوانه ، لا مرادهم ، ويدلهم على رشدهم ، لا على ما يحبونه .
- أن لا يؤذي مؤمناً ، ولا يجاهل جاهلاً .
- أن يطلب من إخوانه حسن العشرة حسب ما تعاشروا به .
- أن يضع كلام أخيه على أحسن الوجوه له .
- السؤال عن أسماء الإخوان ، وعن أسماء آبائهم ، وعن منازلهم ، لئلا تقصّر في حقوقهم.

- مجانبة الحقد ، ولزوم الصلح والعفو عن الإخوان .
- تحقيق الأخوة ، والملازمة عليها ، ومجانبة الملال .
- الإغضاء عن الصديق في بعض المكاره .
- أن لا يستخف بأحد من الخلق ، ويعرف محل كل واحد منهم ، ويكرمه على قدره.
- أن لا يقطع صديقاً بعد أن صادقه ، ولا يرده بعد أن قبله .
- على المؤمن إذا ظفر بأخ ، أو صديق أن لا يضيعه ، ويعلم أن الأخوة والصداقة عزيزة.
- التواضع للإخوان ، وترك التكبر عليهم .
- حفظ المودة القديمة ، والأخوة الثابتة كذلك .
- معرفة حقوق الفقراء ، والقيام بحوائجهم .
- ملازمة الأدب مع الإخوان وحسن معاشرتهم .
- حفظ أسرار الإخوان .
- المشورة مع الإخوان ، وقبول ما يشيرون به عليه .
- إيثار الإرفاق على الإخوان .
- أن يتخلق بمحاسن الأخلاق ، ويتميز في الصحبة .
- قلة مخالفة الإخوان في أسباب الدنيا ، فإن الدنيا أقل خطراً من أن يخالف فيها أخاً من الإخوان .
- أن يصاحب الأحرار على الصفاء والدين دون الرغبة والرهبة والطمع .
- ترك المداهنة مع من يعاشر .
- قلة الخلاف على الإخوان ، ويتحرى موافقتهم فيما يرون ما لم يكن مخالفاً للدين والسنة .
- القيام بإعذار الإخوان والأصحاب ، والذب عنهم والانتصار لهم .
- احتمال الأذى ، وقلة الغضب ، وبسط الشفقة ، والرحمة ، وطيب الكلام .
- البر والصلة ، البر بالنفس والصلة باللسان .
- محبته لانبساط إخوانه إليه في النفس والمال ، فإنه لا يرى بينه وبينهم في ذلك فرقاً .
- مجانبة التباغض والتحاسد .
- التآلف مع الإخوان ، ويعلم أنه قل ما يقع بين الإخوان مخالفة إلا بسبب الدنيا ، وأصل التآلف هو بغض الدنيا ، والإعراض عنها .

- العفو عن الهفوات .
- حسن المجاورة .
- طلاقة الوجه والاسترسال .
- القيام بخدمة من هو دونه في المحل من الإخوان ، فكيف بمن هو فوقه أو مثله ؟ ويعلم أن سيد القوم خادمهم .
- أن يشارك إخوانه في المكروه كما يشاركهم في المحبوب .
- أن يراعى لأصحابه ومعاشريه حق لفظه ولحظه ويحفظ لهم ذلك .
- أن لا يمن بمعروفه على من يحسن إليه ، ويستصغره ، ويعظِّم ما إليه من إخوانه ويستكثره .
- أن لا يقبل على إخوانه مقالة واشٍ ، ولا نمام .
- الوفاء للإخوان في حياتهم وبعد وفاتهم .
- أن يكون شفقه لأخيه الموافق أكثر من شفقته على ولده .
- أن يجتهد في ستر عورة إخوانه ، وإظهار مناقبهم ، وكتمان قبائحهم .
- أن لا يهجر أخاه فوق ثلاث .
- التودد إلى الإخوان بالاصطناع إليهم والصفح .
- أن يداوم لإخوانه على حسن العشرة ، وإن وقعت بينهم وحشة .
- قبول العذر ممن اعتذر إليه صادقاً كان فيه أو كاذباً .
- التسارع إلى قضاء حوائج من يرفع إليه حاجة .
- أن لا ينسيه بُعد الدار كرم العهد ، والنزوع إلى مشاهدة الإخوان .
- أنه إذا دعا أخاً من إخوانه إلى منزله ؛ أن يبعث إليه وقت الحاجة رسولاً منه ، أو يكتب إليه رقعة .
- أن لا يحتجب عن إخوانه ، ولا يحجبهم عن نفسه .
- أن يصون السمع عن سماع القبيح والخنا كما يصون اللسان عن النطق به .
- الأدب في الاستئذان واستعمال السنة فيه .
- أن لا يصوم إذا دعاه أخ له إلا بإذنه ، فإن نوى الصوم ، له أن يفطر تحرياً لسروره.
- الرغبة في زيارة الإخوان والسؤال عن أحوالهم .
- أن يصاحب كل واحد من إخوانه على قدر طريقته .

- إنصاف الإخوان من نفسه ، ومواساتهم من ماله .
- الصبر على جفاء الإخوان .
- تعظيم حرمة المشايخ والرحمة والشفقة على الإخوان .
- أن لا يتكلم الأحداث بحضرة المشايخ .
- أن الإنسان إذا أراد سفراً أن يسلم على إخوانه ويزورهم لعله أن يكون لأحدهم حاجة في وجهه الذي يتوجه .
- أن لا يتغير على إخوانه عندما يحدث له ثروة أو غنى .
- أن لا يغرق في الخصومة ، ويترك للصفح موضعاً .
- أن لا يعاشر من يخالفه في اعتقاده .
- معرفة حق من سبقه بالود .
- ترك التطرية والثناء بعد صحة الأخوة والمودة .

ويقسم أبو عبدالرحمن السلمي آداب الصحبة حسب الجوارح ؛ فيقول:

- " آداب العين : أن ينظر إلى إخوانه نظر مودة ومحبة يعرفها منك هو ومن حضر المجلس، ويكون نظره إلى محاسنه ... ، وأن لا يصرف عنه بصره في وقت إقباله عليه وكلامه معه .
- وآداب السمع : أن يستمع إلى حديثه سماع مشتهى لما سمعه ، متلذذ به ... ولا تقطع حديثه بسبب من الأسباب ، فإن اضطرك الوقت إلى شيء من ذلك استعذرته فيه ، وأظهرت له عذرك .
- وآداب اللسان : أن تكلم إخوانك بما يحبون ... وتسقط من كلامك ما تعلم أن أخاك يكرهه من حديث أو لفظ أو غيره ، ولا ترفع عليه صوتك ، ولا تخاطبه بما لا يفهم .
- وآداب اليدين : أن يكونا مبسوطتين لإخوانه بالبر والمعونة .
- وآداب الرجلين : أن يماشي إخوانه على حد التبع ، ولا يتقدمهم ... ولا يقعد عن حقوق إخوانه معولاً على الثقة بإخوانهم " (1410هـ ، ص ص 122 – 123).

ويلخص أبو عبدالرحمن السلمي صحبة الإخوان في : " ... دوام البشر، وبذل المعروف ، ونشر المحاسن ، وستر القبائح ، واستكثار قليل برهم ، واستصغار ما منك إليهم، وتعهدهم بالنفس والمال ، ومجانبة الحقد والحسد ، والبغي والأذى ، وما يكرهون من جميع الوجوه ، وترك

ما يعتذر منه " (1410هـ ، ص 120) ، وينهي كلامه العظيم بلفتة عظيمة ؛ حيث يقول : "كما يجب عليه مراعاة ظاهره لصحبة الخلق وعشرتهم ، فإن مراعاة باطنه أولى لأنه موضع نظر الله ، وآدابها تكون بملازمة الإخلاص ، والتوكل ، والخوف ، والرجاء، والرضا ، والصبر ، وسلامة الصدر ، وحسن الظن بهم ، والاهتمام بأمورهم" (1410هـ ، ص 125).

وأخيراً ؛ يشترط للمصاحبة شروط حتى تكون نافعة في الدنيا والآخرة:

" الشرط الأول : أن تكون في الله وابتغاء مرضاته ، لا لمجرّد مصالح دنيوية مادية تقصد .

الشرط الثاني : أن لا تشتمل على معصية لله تعالى .

الشرط الثالث : أن يتناصح الأصحاب والجلساء فيما بينهم ، ويتآمروا بالمعروف ويتناهوا عن المنكر .

الشرط الرابع : أن يتعاون الأصحاب والجلساء فيما بينهم على البر والتقوى ، ولا يتعاونوا على الإثم والعدوان ومعصية الرسول .

الشرط الخامس : أن لا تجر إلى مناصرة وتأييد بالباطل ضد أصحاب الحق ، تأثراً بعصبية المصاحبة أو المجالسة ... فعلى العاقل أن يحسن انتقاء أصدقائه ، وأن يحسن انتقاء الأصدقاء والرفقاء لأبنائه أو تلامذته ، ولكل من يشرف على تربيتهم . وهذا من الواجبات التي تفرضها أصول التربية الإسلامية " (عبدالرحمن الميداني ، 1399هـ ، ج2 ، ص ص 187 ، 189).

(3) الصحبة الصالحة في مصادر التربية الإسلامية :

الصحبة الصالحة في القرآن الكريم:

تقوم الصحبة والصداقة والمعاشرة على مبدأ تآلف القلوب ، ولا يمكن أن نتصور نجاح مثل تلك العلاقات والقلوب متنافرة ، فالتأليف بين القلوب هو عنوان ومفتاح الصحبة، والله سبحانه وتعالى هو الذي يؤلف بين القلوب ، والآية – في سورة الأنفال – صريحة في ذلك حيث يقول تعالى : " **وألف بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** " (الأنفال : 63) قال ابن جرير الطبري (ت 310هـ): " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لو أنفقت يا محمد ما في الأرض جميعاً من ذهب

ووَرِق وعَرَض ، ما جمعت أنت بين قلوبهم بِحَيلِك ، ولكن الله جمعها على الهدى، فائتلفت واجتمعت ؛ تقوية من الله لك وتأييداً منه ، ومعونة على عدوك ..." (ط 1422هـ، ج11 ، ص 256) ، وقال عبدالرحمن السعدي : " فاجتمعوا وائتلفوا ، وازدادت قوتهم بسبب اجتماعهم ، ولم يكن هذا بسعي أحد ، ولا بقوة غير قوة الله . فلو أنفقت ما في الأرض جميعاً من ذهب وفضة وغيرهما ، لتأليفهم بعد تلك النفرة ، والفرقة الشديدة (**مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ**) لأنه لا يقدر على تقليب القلوب إلا الله تعالى . (**وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**) ومن عزته أن ألف بين قلوبهم ، وجمعها بعد الفرقة " (1424هـ ، ص 303).

والصحبة منزلة عظيمة ، وتظهر معانيها ولوازمها ومصداقيتها في الحالات الحرجة ، وتصف لنا آية التوبة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صاحبه في الغار : "إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (التوبة : 40) ، " فهما في تلك الحالة الحرجة الشديدة المشقة ، حين انتشر الأعداء من كل جانب يطلبونهما ليقتلوهما ، فأنزل الله عليهما من نصره ما لا يخطر على البال . " (عبدالرحمن السعدي ، 1424هـ ، ص 314) ؛ ولذلك كان أبو بكر رضي الله عنه يبكي عند تذكر هذه الحقيقة ؛ " فعن عمرو بن الحارث، عن أبيه ، أن أبا بكر الصديق ، رضي الله عنه ، حين خطب قال: أيكم يقرأ سورة التوبة؟ قال رجل : أنا . قال : اقرأ . فلما بلغ : (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) بكى أبو بكر وقال: أنا والله صاحبه " (ابن جرير الطبري ، 1422هـ ، ج11 ، ص 466) .

وعندما يدرك المتربي ذلك ؛ يستشعر أهمية من يصاحب ويصادق وكيف يختارهم . ويفهم المتربون بأن أخوتهم وصداقتهم في الدنيا لا بد أن تقوم على الدين والإيمان ؛ استجابة للتوجيه الرباني " **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** " (الحجرات : 10) ، قال ابن جرير الطبري: " يقول تعالى ذكره لأهل الإيمان به : " **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** " في الدين" (1422هـ ، ج21 ، ص 363).

وأما في الآخرة ؛ فإن تلكم الصحبة والصداقة معرضة للعداوة إذا لم تقم في الدنيا على ما يحبه الله ويرضاه ، فالوالدان والمعلمون عندما يوجهون المتربين لتدبّر قوله تعالى : "**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**" (الزخرف : 67) ؛ فإنهم يحتاجون إلى بيان معناها لهم ، فهذا ابن جرير الطبري : " يقول تعالى ذكره : المتَخالُّون يوم تقوم الساعة على معاصي الله في الدنيا ، بعضهم لبعض عدو ، يتبرأ بعضهم من بعض ، إلا الذين كانوا تخالّوا فيها على تقوى الله " (1422هـ ، ج2 ، ص ص 639 – 640) ، وكذلك نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله : " فكل خلة هي عداوة إلا خلة المتقين " (1422هـ ، ج20 ، ص 640) .

الصحبة الصالحة في السنة النبوية الشريفة:

وتأتي السنة النبوية تبين هذه القيمة العظيمة التي ينبغي أن تؤصِّل التربية الأسرية والمدرسية مبادئها عليها ؛ لينشأ المتربون على علم ودراية في تحقيق قيمة الصحبة الصالحة ، والنجاح في اختيارها في وقت كثرت فيه المؤثرات السالبة على الصغار ، فتلوثت كثير من أفكارهم وأنماط سلوكهم ، وأصبحت جماعات الرفاق الصالحة للمتربين ليست سهلة المنال في المجتمع الإسلامي اليوم .

فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " سبعة يظلهم الله في ظله ... (وذكر منهم) ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ... " رواه البخاري (محمد البخاري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 141) ، يقول ابن حجر العسقلاني : " والمراد أنهما داما على المحبة الدينية ولم يقطعاها بعارض دنيوي سواء اجتمعا حقيقة أم لا حتى فرق بينهما الموت " (د.ت ، ج2 ، ص 145) ، ومن فوائد هذا الحديث " الحث على التحاب في الله وبيان عظم فضله وهو من المهمات ، فإن الحب في الله والبغض في الله من الإيمان " (يحيى النووي ، د.ت ، ج7 ، ص 121) ، " (تحابا) ... وأحب كل منهما الآخر حقيقة لا إظهاراً فقط ... (اجتمعا وتفرقا) ... يعني يحفظان الحب في الحضور والغيبة " (محمد عبدالرحمن المباركفوري ، 1399هـ ، ج7 ، ص 69) . ويزيد المعنى إيضاحاً محمد العثيمين (ت 1421هـ) حيث يقول : " رجلان تحابا في الله ، يعني ليس بينهما صلة من نسب أو غيره ، ولكن تحابا في الله. كل واحد منهم رأى أن صاحبه ذو عبادة وطاعة لله عز وجل ، وقيام بما يجب لأهله ولمن له حق عليه، فرآه على هذه الحال فأحبه . (اجتمعا عليه وتفرقا

عليه) يعني اجتمعا عليه في الدنيا ، وبقيا على ذلك إلى أن ماتا فتفرقا على ذلك " (ط 1416هـ ، ج6 ، ص 368) . وهكذا يكون شأن كل مترب ٍ تربى على أن يقيم صحبته مع غيره على أساس المحبة في الله ؛ فيسعد بأن يكون من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم تدنو الشمس من الخلائق قدر ميل .

وفي الحديث الآخر ، عن عائشة رضي الله عنها قالت :" سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف " رواه البخاري (محمد البخاري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 499 / ابن حجر العسقلاني ، د.ت ، ج6 ، ص 369) ، وبين بعض علماء التربية الإسلامية في هذا الحديث أموراً مهمة ذات صلة بقيمة اختيار الصحبة الصالحة، فهذا ابن حجر العسقلاني ينقل عن الخطابي وابن الجوزي فيقول : " قال الخطابي يحتمل أن يكون إشارة إلى معنى التشاكل في الخير والشر والصلاح والفساد ، وأن الخيِّر من الناس يحن إلى شكله ، والشرير نظير ذلك يميل إلى نظيره ، فتعارف الأرواح يقع بحسب الطباع التي جبلت عليها من خير وشر ، فإذا اتفقت تعارفت ، وإذا اختلفت تناكرت ... قال ابن الجوزي : ويستفاد من هذا الحديث أن الإنسان إذا وجد من نفسه نفرة ممن له فضيلة أو صلاح فينبغي أن يبحث عن المقتضي لذلك ليسعى في إزالته حتى يتخلص من الوصف المذموم ، وكذلك القول في عكسه " (د.ت ،ج6 ، ص ص 369 – 370) ، ووجود صحبة طيبة صالحة للمتربين دلالة الخير الذي ربّي عليه ، حتى أصبح طبعاً فيه يميز به – علماً وإرادة – بين الأخيار والأشرار من الأصحاب؛ فيقع الاختيار موفَّقاً على من تحسن صحبته.

وتتجلى تلك المعاني العظيمة في المثل المشهور الذي ضربه الرسول عليه الصلاة والسلام عن الجليس الصالح والجليس السوء ؛ فعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : " إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير : فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة " رواه البيهقي (عبدالرؤوف المناوي ، 1391هـ ، ج3 ، ص 4) وصححه الألباني (محمد ناصر الدين الألباني ، 1408هـ ، ج1 ، ص 467) ، قال عبدالرؤوف المناوي : " أي أنك إن لم تظفر منه بحاجتك جميعها لم تعدم واحدة منها إما الإعطاء وإما الشراء وإما الاقتباس للرائحة، وكذا يقال في قوله (ونافخ الكير) بعكس ذلك ... والمقصود منه النهي عن مجالسة من تؤذي مجالسته في دين أو دنيا والترغيب في مجالسة من تنفع مجالسته فيهما. " (1391هـ ، ج3 ، ص 4) ، وقال

الراغب الأصفهاني : " حق الإنسان أن يتحرى بغاية جهده مصاحبة الأخيار، فإنها قد تجعل الشرّير خيّراً ، كما أن مصاحبة الأشرار قد تجعل الخيّر شريراً ، قال بعض الحكماء : من صحب خيِّراً أصابته بركته ، فجليس أولياء الله لا يشقى ولو كان كلباً ككلب أهل الكهف ... ولهذا أوصت الحكماء الأحداث بالبعد عن مجالسة السفهاء ، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : (لا تصحب الفاجر فيزين لك فعله ويود لو أنك مثله) ، وقد قيل : جالسوا من تذكركم الله رؤيته ويزيد في خيركم نطقه ، وقد قيل : إياك ومجالسة الأشرار ، فإن الطبع يسرق من الطبع وأنت لا تدري ..." (1408هـ ، ص 367).

الصحبة في أقوال سلف الأمة وعلمائها:

وتأتي مقولات العلماء والحكماء والمربين السابقين في التربية الإسلامية جامعة ومؤكدة لكثير من المعاني التي يجب رعايتها وتربية الناشئة عليها نظرياً وعملياً ؛ حتى يفوز باختيار الصحبة الصالحة، ومن ذلك :

ومما ذكره ابن مفلح المقدسي (1419هـ ، ج3) عن الصحبة :

- "قال أكثم بن صيفي : أحق مَن يَشْرَكُكَ في النعم شركاؤك في المكاره ، أخذه بعضهم قال :

وإن أولى البرايا أن تواسيه عند السرور لِمَنْ واساك في الحزن

إن الكرام إذ ما أسهلوا ذكروا من كان يألفُهم في المنزل الخشِن "(ص 533)

- " عن علي رضي الله عنه أنه قال لرجل وكره له صحبة أحمق :

فلا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه

يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ما شاه

قياس النعل بالنعل إذا ما هو حاذاه

وللشيء على الشيء مقاييس وأشباه

وللقلب على القلب دليل حين يلقاه " (ص 536).

- " عن أبي قلابة ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : من فقه الرجل مدخله وممشاه وإلفه. قال أبو قلابة: ألا ترى إلى قول الشاعر :

عن المرء لا تسأل ، وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي " (ص 537).

- " قال بعض الحكماء : الصاحب للصاحب كالرُّقعة للثوب إذا لم تكن مثله شانته ، وأخذ الشاعر المعنى فقال:

وما صاحب الإنسان إلا كرُقعة على ثوبه فليتخذ من يُشاكله " (ص280).

- " قال بعضهم : أنصح الناس فيك من خاف الله فيك " (ص281).
- " قال المأمون : الإخوان على ثلاث طبقات منهم مَن هو كالغذاء لا يُستغنى عنهم أبداً وهم إخوان الصفاء ، وإخوان كالداء لا يحتاج إليهم أبداً وهم أهم الملق (يعطي بلسانه ما ليس بقلبه) والنفاق لا خير فيهم ، وإخوان كالدواء يحتاج إليهم في بعض الأوقات وهم الفقهاء " (ص 281).
- " قال لقمان لابنه : يا بني ثلاثة لا يُعرفون إلا بثلاثة مواطن : لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا عند الحرب ، ولا الأخ إلا عند الحاجة وطول الصحبة يكشف العيوب " (ص 281).
- " قال سفيان : إذا أردت أن تعرف مالك عند صديقك فأغضبه ، فإن أنصفك وإلا فاجتنبه " (ص 282).
- " قال علي بن الحسين : ينبغي للمرء أن لا يصاحب خمسة : الماجن والكذاب والأحمق والبخيل والجبان؛ فأما الماجن فعيب إن دخل عليك وعيب إن خرج من عندك ، وأما الكذاب فإنه ينقل حديث هؤلاء إلى هؤلاء ويزيد فيُلقي الشحنة في الصدور ، وأما الأحمق فإنه لا يُرشد لسوء يصرفه عنك وربما أراد أن ينفعك فضرَّك فبُعده خير من قربه وموته خير من حياته ، وأما البخيل فأحوج ما تكون إليه أبعد ما تكون منه ففي أشد حالاته يهرب ويدعك " (ص 282).
- " قال بعضهم : يا بني تميم اصحبوا من يذكر إحسانكم إليه ، وينسى أياديه عليكم " (ص 282) .
- " قيل لمعاوية : ما بقى من لذة حياتك ؟ قال : محادثة الرجال الكمَّل " (ص 282).
- " قال خالد بن صفوان : إن أعجز الناس من قصّر في طلب الإخوان ، وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم " (ص 160).
- " قال علي رضي الله عنه لابنه الحسن : يا بني ، الغريب من ليس له حبيب " (ص 160).
- " قال ابن المعتز : من اتخذ إخواناً كانوا له أعواناً " (ص 160).

- " قال بعض الأدباء : أفضل الذخائر أخ وفي " (ص 160).
- " قالت الحكماء : اعرف الرجل من فعله ، لا من كلامه ، واعرف محبته من عينه ، لا من لسانه " (ص 164).
- " قال بعض الحكماء : اصطفِ من الإخوان ذا الدين والحسب ، والرأي والأدب ، فإنه ردء لك عند حاجتك ، ويد عند نائبتك ، وأنس عند وحشتك ، وزين عند عافيتك " (ص 166) .

ومن جميل ما جاء في باب اختيار الأصحاب ما نقله أبو حامد الغزالي عن بعضهم ، ومنه :

- " قال بعض العلماء : لا تصحب إلا أحد رجلين : رجل تتعلم منه شيئاً من أمر دينك ، فينفعك ، أو رجل تعلمه شيئاً من أمر دينه فيقبل منك ، والثالث فاهرب منه " (د0ت ، ص 217).
- " قال بعض الأدباء : لا تصحب من الناس إلا من يكتم سرك ، ويستر عيبك ، ويكون معك في النوائب ، ويؤثرك في الرغائب ، وينشر حسنتك ، ويطوي سيئتك ، فإن لم تجده ، فلا تصحب إلا نفسك " (د.ت ، ص 217).

كما أكد المربون المعاصرون على معانٍ مهمة لا بد من أخذها في الاعتبار عند قيمة اختيار الصحبة للمتربي :

يقول عبدالله علوان (ت 1408هـ) :

- " ومن العوامل الهامة في تكوين الولد إيمانياً ونفسياً ، وإعداده خلقياً واجتماعياً ؛ ربط الولد منذ نعومة أظفاره بالصحبة المؤمنة الصالحة ؛ ليكتسب منها ما ينمّي شخصيته من روحانية مشرقة ، وعلم نافع ، وأدب سامٍ ، وأخلاق قويمة ... وإذا كان لابد للولد من أصحاب يلتقي معهم ، ويجد في خلطتهم الأنس لقلبه ، والترويح عن نفسه ، فعلى المربي أن يبحث له عن رفقة صالحة ... ليرتبط بهم ، ويجد في صحبتهم السلوى والعزاء ، واكتساب صفات الخير ، ومكارم الأخلاق ؛ وبهذا يكون المربي قد نقل الولد إلى البيئة الصالحة ، والمحيط الملائم " (ط 1406هـ ، ج2 ، ص ص 809 ، 811 – 812).

والمتربي في التربية الإسلامية يحقق فوائد وثمرات عظيمة ؛ عندما يتفوق في اختيار صحبة صالحة ، ومن هذه الفوائد والثمار أن هذه القيمة تلبي حاجته إلى الاجتماع تلبية مأمونة ، وتشبع في نفسه الراحة والاطمئنان ، وتشبع حاجته للانتماء لمجموعة يفخر بها ويختلط معها ، ويحس بالانتماء والصداقة والارتباط معهم فيزول عن نفسه الشعور بالوحدة والضيق ؛ فيتحقق بذلك التماسك والتكافل الاجتماعي .

16" – الأسوة والقدوة الحسنة :

(1) المفهوم :

وقال الحسين البغوي (ت 516 هـ) : "(أسوة) حيث كانت بضم الهمزة والباقون بكسرها، وهما لغتان، أي قدوة صالحة ، وهي فعلة من الإئتساء ، كالقدوة من الاقتداء " (ط 1415هـ ، ج3 ، ص 519)، وقال محمد الأمين الشنقيطي (ت 1393هـ) : " الأسوة كالقدوة ، وهي اتباع الغير على الحالة التي يكون عليها حسنة أو قبيحة . ولذا قال تعالى : (**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**) " (ط 1403هـ ، ج8 ، ص 138).

وبهذا المعنى عرّف عبدالرؤوف المناوي كلاً من الأسوة والقدوة ، وأوضح بأنها متابعة للغير ، وأنها قد تكون حسنة باتباع أهل الحق من فعل الحسنات وترك السيئات ، وقد تكون سيئة باتباع أهل الباطل من فعل السيئات وترك الحسنات . (عبدالرؤوف المناوي ، 1410هـ / صالح بن حميد وآخرون ، 1419هـ)

(2) جوانب في القدوة :

تعدُّ القدوة من أهم وسائل التربية – إن لم تكن الأهم – ... والناس بحاجة إلى مُثُل ونماذج تقدم لهم أمثلة رائعة ؛ ليقتدوا بها لصلاح حالهم وحال أمتهم . (محمد قطب ، 1409هـ / محمد المصري ، 1399هـ)

ولذا يقول محمد المصري : " وليس لنا من سبيل إلا هذه السبيل ، طليعة تتأسى خطوات محمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه شبراً بشبر وذراعاً بذراع في كل ظاهرة وخفية وفي كل دقيقة وجليلة ، في العبادة والتفكير والحرب والتدبير والسياسة والدعوة والجرأة والحكمة : " **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ". ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى" (1399هـ ، ص 38) .

والقدوة من أعظم الوسائل المؤثرة في شخصية المتلقي ، وربما وصل المتربي إلى مستويات متميزة إذا كانت قدوته كذلك ؛ وعندها يصبح المتربي– في مستقبل أيامه – من القدوات الحسنة لغيره . وبالقدوة تحصل الإثارة في نفوس الناشئة بقدر كبير من الاستحسان والإعجاب والتقدير والمحبة تجاه المثل الحي لهم ، وتعطيهم قناعة بأن ما عليه تلك القدوة يمكن تحصيله

وتحقيقه واقعاً عملياً ، ومن خلال القدوة تصل المعاني والصفات إلى المقتدي بيسر وسهولة . (صالح بن حميد ، 1414هـ)

وحتى تؤثر القدوة الحسنة ؛ فلا بد من مراعاة المبادئ التالية :

أ – مبدأ التطابق بين القول والفعل : بحيث تأتي الأفعال والأخلاق عقب الأقوال والمبادئ التي يؤمن بها ويوجه إليها المربي أياً كان ، ومطابقة لها ؛ فالأب عندما يحث ابنه على البر والصلة والإحسان ، ويجد الابن من أبيه ذلك خلال حياته الاجتماعية ؛ فيتطبع الابن بتلك الصفات الحميدة ، بينما يحصل الصدود والنفور عن الاتصاف بذلك ، عندما يخالف الأب في أفعاله ما يدعو إليه بأقواله .

ب – مبدأ عرض النموذج : ويحصل ذلك حينما تتاح للمتربي القدوة بأسلوبين : بالنموذج الحي الذي يراه أمامه كأبيه أو أخيه الكبير أو المعلم أو ... الخ ، أو بالقصة التي تحكي نماذج سابقة رائعة يراد أن تؤتي ثمارها في سلوك المتربي ، مثل العناية بسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، والأنبياء والصحابة والعلماء والمصلحين والمجاهدين والمربين في الأمة ؛ فيستخلص منها معاني الآداب والأخلاق والحقوق .

ج – مبدأ التكرار : فالمتربي سيتأثر بمواقف والده ومعلمه عندما تكون أفعالهم وأقوالهم وتوجيهاتهم ذات طابع متكرر خاصة الجانب الفعلي منه ، فمع كثرة مرات تكرار الفعل تتأكد لدى المتربي أهميته ، وتغرس الفضائل في نفسه غرساً . (عبدالعزيز النغيمشي ، 1414هـ بتصرف)

(3) القدوة الحسنة في مصادر التربية الإسلامية :

القدوة الحسنة في القرآن الكريم :

جاءت الآيات العظيمة بتوجيه النبي صلى الله عليه وسلم وأمره بالاقتداء بإخوانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؛ فاجتمعت له الفضائل ، وصبر على المكاره ، وحصل له التمكين ، وهذا دليل قاطع على عظم هذه القيمة (القدوة الحسنة) في ميزان الشريعة الإسلامية .

ويقول المولى سبحانه : " أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ " (الأنعام : 90) وقال عبدالرحمن السعدي : " أي امش – أيها الرسول الكريم – خلف هؤلاء الأنبياء الأخيار ، واتبع ملتهم . وقد امتثل صلى الله عليه وسلم ، فاهتدى بهدي الرسل قبله ، وجمع كل كمال فيهم ، فاجتمعت لديه فضائل وخصائص ، فاق بها جميع العالمين ، وكان سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين . وبهذا الملحظ استدل بهذه من استدل من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الرسل كلهم " (1424هـ ، ص ص 241 – 242) . وقال تعالى : " فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ " (الأحقاف : 35) ، قال ابن جرير الطبري : " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، مثبِّته على المضيِّ لما قلَّده من عبء الرسالة وثقل أحمال النبوة صلى الله عليه وسلم ، وآمِرَه بالائتساء في العزم على النفوذ لذلك بأولي العزم من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لقوا فيه من قومهم من المكاره ، ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد " (د.ت ، ج 21 ، ص 176) ، وقال عبدالرحمن السعدي عند تفسيره لهذه الآية في سورة الأحقاف : " ثم أمر تعالى رسوله أن يصبر على أذية المكذبين المعادين له ، وأن لا يزال داعياً لهم إلى الله ، وأن يقتدي بصبر أولي العزم من المرسلين ، سادات الخلق ، أولي العزائم والهمم العالية ، الذين عظم صبرهم ، وتم يقينهم ، فهم أحق الخلق بالأسوة بهم ، والقفو لآثارهم ، والاهتداء بمنارهم . فامتثل صلى الله عليه وسلم لأمر ربه ، فصبر صبراً لم يصبره نبي قبله ، حتى رماه المعادون له عن قوس واحدة ، وقاموا جميعاً بصده عن الدعوة إلى الله ، وفعلوا ما يمكنهم من المعاداة والمحاربة ، وهو صلى الله عليه وسلم لم يزل صادعاً بأمر الله ، مقيماً على جهاد أعداء الله ، صابراً على ما يناله من الأذى ، حتى مكّن الله له في الأرض ، وأظهر دينه على سائر الأديان ، وأمته على الأمم ، فصلى الله عليه وسلم تسليماً " (1424هـ ، ص 750).

وكما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؛ فإن على المربين توجيه الناشئة إلى الاقتداء بمن اقتدى بهم النبي عليه الصلاة والسلام ، وفي ذلك يقول الله تعالى : " **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ**

أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (4) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(5) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (6)"

(الممتحنة : 4 – 6) ، قال عبدالرحمن السعدي : " فلكم أيها المؤمنون أسوة حسنة في إبراهيم ومن معه في القيام بالإيمان والتوحيد ، والقيام بلوازم ذلك ومقتضياته ، وفي كل شيء تعبدوا به لله وحده ... فإن الإيمان واحتساب الأجر والثواب يسهّل على العبد كل عسير ، ويقلل لديه كل كثير ، ويوجب له الإكثار من الاقتداء بعباد الله الصالحين، والأنبياء والمرسلين ، فإنه يرى نفسه مفتقراً مضطراً إلى ذلك غاية الاضطرار " (1424هـ ، ص ص 818 – 819) . بل جاء التوجيه الرباني بالاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم بالخصوص ؛ لعظم مكانته ومنزلته وقدر القدوة التي يتمثلها ، فقال عز من قائل : " لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ " (الأحزاب : 21) ، قال إسماعيل ابن كثير : " هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله ، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين " (1421هـ ، ص 1083) . وعليه ؛ فالتربية الإسلامية ينبغي أن تُعنى بإرشاد وتعليم الناشئة أهمية الاقتداء بهذا الرسول العظيم صلوات الله وسلامه عليه ، حيث القدوة المثالية في جميع مجالات الحياة ، والسيرة النبوية العطرة ، وقراءتها وتعليمها الناشئة في البيوت والمدارس والمحاضن التربوية ، وتحفيز الناشئة على ذلك بالجوائز والمسابقات ؛ من أهم الأساليب في الوقوف عند تلك المجالات.

وكان من دعوة عباد الرحمن " وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا " (الفرقان : 74) ، فالمتربي عندما يسمع هذه الدعوة ويقرأها في كتاب الله ؛ ليتهيأ لأن يكون قدوة لغيره ، بل إماماً للمتقين ، وهذا ما ينبغي أن تقوم عليه التربية الإسلامية العملية فيما يتعلق بالقدوة ؛ فهي تغرس قيمة القدوة لتلبية حاجة المتربي لأن يقتدي بالقدوات الصالحة ، وأن يجعله الله قدوة للآخرين من المتقين ، وهي منزلة عالية في تربية النشأ ؛ فإنك تجد أسراً ضيعت تقديم النماذج

الحسنة لأبنائها ، وبعضهم ربما وفق إلى تقديم تلك النماذج لناشئتها ولكنهم لم يجتهدوا في البناء ؛ ليصبحوا نماذج صالحة لغيرهم .

ومن جميل ما يحسن ذكره ؛ ما نقله محمود الخزندار عند استعراضه لأخلاق المؤمنين حقاً ، حيث يقول في معرض كلامه عن القدوة : " ورأس الأمر في إمامة الأسوة : أن ندعوا الناس بأفعالنا قبل أقوالنا . يقول عبدالواحد بن زياد : (ما بلغ الحسن البصري إلى ما بلغ ؛ إلا لكونه إذا أمر الناس بشيء يكون أسبقهم إليه ، وإذا نهاهم عن شيء يكون أبعدهم عنه) ، ولما نبذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمه الذهبي ، نبذ الناس خواتمهم (فدلّ ذلك على أن الفعل أبلغ من القول) كما يقول ابن حجر . إن صاحب الأسوة الحسنة يترك كثيراً من المباح ، احتياطاً لأمر دينه، وبعداً عن الشبهات ، ويبتعد عن مواطن سوء الظن ؛ لأنها تنفّر الناس من الاقتداء به (وهذا متأكد في حق العلماء ، ومن يُقتدى به ، فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلاً يوجب سوء الظن بهم، وإن كان لهم فيه مخلص . لأن ذلك سبب إلى إبطال الانتفاع بعلمهم) كما قال ابن حجر" (1425هـ ، ص ص 223 – 224).

الاقتداء في السنة النبوية الشريفة:

والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا شديدي التأسي والاقتداء بالرسول عليه الصلاة والسلام؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : " اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتماً من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إني اتخذت خاتماً من ذهب فنبذه وقال : إني لن ألبَسَه أبداً ، فنبذ الناس خواتيمهم " رواه البخاري (محمد البخاري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 1391 / ابن حجر العسقلاني ، د.ت ، ج13 ، ص 275) ، قال ابن حجر العسقلاني : " اقتصر على هذا المثال لاشتماله على تأسيهم به في الفعل والترك " (د.ت ، ج13 ، ص 275).

وورد عن عمر رضي الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبلّه فقال : " إني أعلم أنك حجر لا تضرّ ولا تنفع ، ولولا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك " رواه البخاري (محمد البخاري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 309 / ابن حجر العسقلاني ، د.ت، ج3 ، ص 463) ، يقول ابن حجر العسقلاني : " وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها ، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه " (د.ت ، ج3 ، ص 463).

وعن ابن عمر قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت سبعاً ، وصلى خلف المقام ركعتين ، وطاف بين الصفا والمروة ، وقال: " **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ". رواه النسائي وصححه الألباني (أحمد النسائي ، 1419هـ ، ص 314 / محمد الفوجياني ، 1422هـ ، ج3 ، ص 445)

وعن سعيد بن يسار أنه قال : كنت أسير مع ابن عمر بطريق مكة ، قال سعيد : فلما خشيت الصبح نزلت فأوترت ثم أدركته ، فقال لي ابن عمر : أين كنت ؟ ، فقلت له : خشيت الفجر فنزلت فأوترت ، فقال عبدالله : أليس لك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة ؟ فقلت : بلى والله ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوتر على البعير . رواه مسلم (مسلم النيسابوري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 278 / يحيى النووي ، 1414هـ ، ج5 ، ص 330)

- وعن أبي عون قال : سمعت جابر بن سمرة قال : قال عمر لسعد : لقد شَكَوكَ في كل شيء حتى الصلاة . قال : أما أنا فأمدّ في الأولَيَيَن وأحذف في الأُخْرَيَين ، ولا آلو ما اقتديتُ به من صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : صدقت ، ذاك الظن بك ، أو ظني بك " . رواه البخاري (محمد البخاري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 159 / ابن حجر العسقلاني ، د.ت ، ج2 ، ص 251) .
- وعن عمر بن الخطاب رأى على طلحة بن عبيد الله ثوباً مصبوغاً وهو محرم فقال عمر : ما هذا الثوب المصبوغ يا طلحة ، فقال طلحة : يا أمير المؤمنين إنما هو مَدْرٌ ، (طين) ، فقال عمر : إنكم أيها الرهط أئمة يقتدي بكم الناس ، فلو أن رجلاً جاهلاً رأى هذا الثوب لقال : إن طلحة بن عبيد الله كان يلبس الثياب المصبغة في الإحرام ، فلا تلبسوا أيها الرهط شيئاً من هذه الثياب المصبغة . رواه مالك (عبدالرحمن السيوطي ، د.ت ، ج1 ، ص 304)

وعليه فالناشئ يُربَّى أول ما يربى على أن يجعل النبي صلى الله عليه وسلم قدوة له في حياته وكذا الأنبياء والصحابة والصالحين ؛ حتى يكون هو قدوة اجتماعية لغيره في مستقبل أيامه وحياته .

ويؤكد محمد قطب مكانة القدوة في الإسلام ، وخطورتها ، ويوضح أنها أعظم وسائل التربية للناشئة في البيت والمدرسة والشارع والمجتمع ؛ فيقول : " والإسلام يرى أن القدوة أعظم

وسائل التربية ، فيقيم تربيته الدائمة على هذا الأساس . لا بد للناس من قدوة في مجتمعهم تطبعهم بطابع الإسلام وتقاليده النظيفة لكي يحملوا الأمانة لمن يربونهم من الأجيال ، ولا بد للمجتمع من قدوة في قائدهم أو زعيمهم أو حاكمهم ، تتحقق في شخصه المبادئ ، وينسج على منواله المحكومون. والقدوة للجميع هي شخصية الرسول التي تتمثل فيها كل مبادئ الإسلام وقيمه وتعاليمه. ومن ثم يقيم الإسلام منهجه التربوي على أساس أنه هو الذي يسيّر دفة المجتمع ودفة الحياة. إنه لا يجعل التربية مجهوداً فردياً يخفق أو ينجح . وتذروه الرياح والأعاصير ... إن الولد الذي يرى والده يكذب .. لا يمكن أن يتعلم الصدق !... والولد الذي يرى أمه مستهترة لا يمكن أن يتعلم الفضيلة ، والولد الذي يقسو عليه أبوه لا يمكن أن يتعلم الرحمة والتعاون ... ومن ثم ينبغي أن تكون أسرة نظيفة، أسرة مسلمة ؛ حتى ينشأ جيل مسلم يحقق في نفسه مبادئ الإسلام ، يأخذها بالقدوة المباشرة المنقولة عن قدوة الرسول صلى الله عليه وسلم . وينبغي أيضاً – بالإضافة إلى ذلك – أن تكون سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم جزءاً دائماً من منهج التربية ، سواء في المنزل أو المدرسة أو الكتاب أو الصحيفة أو المذياع ؛ لتكون القدوة دائمة وحية وشاخصة في المشاعر وفي الأفكار " (د.ت ، ج1 ، ص ص 228 – 229)

والقدوة عامل مؤثر في صلاح المتربي أو فساده ، وفي تكوينه النفسي والخلقي والاجتماعي ، وهو يترقى نحو الفضائل والآداب الاجتماعية النبيلة بالقدوة الصالحة التي يراها أمامه في البيت والمدرسة والمجتمع والإعلام ، فالمتربي يقلّد المربي سلوكياً ، ويحاكيه خلقياً ؛ لأنه مَثَلُه الأعلى الواقعي الذي يراه في حياته الاجتماعية ، وهذه فطرة فطره الله عليها ، حيث الميل القوي للمحاكاة والتقليد ؛ وعليه فلا بد أن يرتبط بقدوات صالحة يراها ، وبسيرة صاحب القدوة العليا صلى الله عليه وسلم .(عبدالله علون ، 1398هـ / عبدالرحمن الميداني ، 1399هـ / حسني جرار ، 1405هـ / خالد الشنتوت ، 1990هـ / عدنان باحارث ، 1410هـ)

وعندما تظهر قيمة القدوات والأسوة الحسنة في المجتمع الإسلامي ، وتصبح قريبة للجيل الناشئ ؛ فإن كثيراً من الفوائد الاجتماعية تتحقق لهم ، حيث يشعرون بقيمتهم في المجتمع ، وأثر أقوالهم وأفعالهم على الناس ، ويحبهم الناس ، ويثقون بهم ، ويجدون في أنفسهم سعادة ما بعدها سعادة . (صالح بن حميد وآخرون ، 1418هـ)

17" – مجموعة من الآداب الاجتماعية (آداب: الطعام والشراب ، والسلام ، والمجلس ، والمزاح) :

ونستعرض باقي الآداب الاجتماعية التي اختيرت للدراسة ، وهي : آداب الطعام والشراب ، وآداب التحية والسلام ، وآداب المجلس ، وآداب المزاح . وهي آداب مهمة للمتربي، ولصيقة بحياته الاجتماعية اليومية .

(1) المفهوم :

ناقش أهل اللغة والمعاجم الاصطلاحية مفهوم (الآداب) ؛ فهذا علي الجرجاني يعرّف الأدب بأنه : " عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ " (د.ت ، ص 24) ، ويوضحه أحمد الفيومي (ت 770 هـ) بقوله : " (أدبته أدباً) ... : علمته رياضة النفس ، ومحاسن الأخلاق ، قال أبو زيد الأنصاري : (الأدب) : يقع على كل رياضة محمودة ، يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل " (د.ت ، ج1 ، ص 12) ، وبذلك قال عبدالرؤوف المناوي (1410هـ ، ص 42) ، ويبيّن محمد التهانوى معنى الأدب فيقول : " الأدب بفتح الأول والدال المهملة ... وفي بحر الجواهر : حسن الأحوال في القيام والقعود وحسن الأخلاق واجتماع الخصال الحميدة ... وقال أبو زيد : ويجوز أن يعرّف بأنه ملكة تعصم من قامت به عما يشينه ، وفي فتح القدير : الأدب الخصال الحميدة ... وقال حكيم: الأدب مجالسة الخلق على بساط الصدق ومطابقة الحقائق " (1862م ، ج1 ، ص ص 53 – 54) ، ويجمل ابن منظور المفهوم بقوله : " الذي يتأدب به الأديبُ من الناس؛ سمِّي أدباً لأنه يأدب الناس إلى المحامد ، وينهاهم عن المقابح" (د.ت ، ج1 ، ص 33) ، بينما يفصّله إبراهيم أنيس وآخرون بقولهم : " (أَدَبَ) فلاناً : راضه على محاسن الأخلاق والعادات . و(أَدَبَ) دعاه إلى المحامد ... (أَدُبَ) فلانٌ أَدَباً : راض نفسه على المحاسن ... (أدّبه) : راضه على محاسن الأخلاق . و (أدّبه) لقَّنه فنون الأدب ... (تأدّب) : تعلّم الأدب . ويقال : تَأَدَّب بأدَب القرآن، أو أدب الرسول : احتذاه ... (الأَدَبُ) : رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي ... (الأديب) : وصف من أَدُبَ . والأديب الآخذ بمحاسن الأخلاق ... (التأديب) : التهذيب ... (المؤدِّب) : لقب كان يلقَّب به من يُختار لتربية الناشئ وتعليمه " (د.ت ، ج1 ، ص ص 9 – 10) .

وهكذا يظهر هذا المعنى في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لقوله تعالى : " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ " ، فيقول : أدبوهم وعلموهم ، والأدب يقصد به اجتماع خصال الخير في العبد الذي يصون نفسه عن الخطأ والزلل ، ويراعي مشاعر الآخرين ، ويعتبر سلوكاً بشرياً راقياً وهو خلاصة لجميع القيم ومكارم الأخلاق . (ابن قيم الجوزية ، د.ت / مرزوق بن تنباك ، د .ت).

(2) جوانب في الأدب والتأديب :

النفس مجبولة على الأخلاق الفاضلة ، وهي بحاجة إلى التأديب والتهذيب من الصغر؛ حتى ينشأ عليها وتسهل عليه في الكبر ، ويورد علي الماوردي كلاماً نفيساً في ضرورة التأديب وأهميته ، فيقول : " اعلم أن النفس مجبولة على شيم مهملة ، وأخلاق مرسَلَة ، لا يستغني محمودها عن التأديب ، ولا يُكتفى بالمرضيّ منها عن التهذيب ، لأن لمحمودها أضداداً مقابلة ، يُسعدها هوى مطاع ، وشهوة غالبة ... الأدب مكتسب بالتجربة ... والمعاناة ، ويستفاد بالدُّربة والمعاطاة ، ثم يكون العقل عليه قيِّماً ، وزكيّ الطبع إليه مسلماً ... والتأديب يلزم من وجهين : أحدهما : ما لزم الوالد لولده في صغره ، والثاني : ما لزم الإنسان في نفسه عند نشأته وكبره . فأما التأديب اللازم للأب ، فهو أن يأخذ ولده بمبادئ الآداب ليأنس بها ، وينشأ عليها ، فيسهل عليه قبولها عند الكبر ، لاستئناسه بمبادئها في الصغر ،لأن نشأة الصغير على الشيء ، تجعله متطبعاً به ، ومن أُغفِل في الصغر ، كان تأديبه في الكبر عسيراً " (1988م ، ص ص 224 ، 226).

ويقسم ابن قيم الجوزية الأدب إلى ثلاثة أنواع : أدب مع الله تعالى ، وأدب مع رسوله صلى الله عليه وسلم وشرعه ، وأدب مع خلقه ، ويقول فيه " وأما الأدب مع الخلق: فهو معاملتهم – على اختلاف مراتبهم – بما يليق بهم ، فلكل مرتبة أدب ... ولكل حال أدب : فللأكل آداب ، وللشرب آداب ، وللركوب والدخول والخروج والسفر والإقامة والنوم آداب ، وللبول آداب ، وللكلام آداب ، وللسكوت والاستماع آداب"(د.ت ، ص 454).

ويبين أهمية الأدب في استجلاب خير الدنيا والآخرة ، ويقول " وأدب المرء : عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه : عنوان شقاوته وبواره . فما استُجْلِب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب ، ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب " (د.ت ، ص 454).

وقد ورد الكثير من المقولات عن الأدب في تراث التربية الإسلامية ، ويحسن بنا أن نسوق جملة من هذه المقولات والعبارات المؤكدة لقيمة الأدب في المنهج الإسلامي ، وحاجة الأجيال إلى التربية على الآداب والتأديب عليها منذ الصغر :

- " حكي أن حاتم الأصم قدّم رجله اليسرى عند دخوله المسجد فتغير لونه وخرج مذعوراً ، وقدّم رجله اليمنى فقيل : ما ذلك ؟، فقال : لو تركت أدباً من آداب الدين خفت أن يسلبني الله جميع ما أعطاني " (محمد التهانوي ، ت 1158هـ ، ط 1862م ، ج1 ، ص 54) .

ومن تلك المقولات ما ذكره ابن قيم الجوزية (د.ت) :

- " قال ابن المبارك : نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم"(ص 445).
- " قال سهل : " من قهر نفسه بالأدب فهو يعبد الله بالإخلاص" (ص 446).
- " قال عبدالله بن المبارك : قد أكثر الناس القول في الأدب ونحن نقول : إنه معرفة النفس ورعوناتها، وتجنب تلك الرعونات " (ص 446).
- " قال بعضهم : الزم الأدب ظاهراً وباطناًً ، فما أساء أحد الأدب في الظاهر إلا عوقب ظاهراً ، وما أساء أحد الأدب باطناً إلا عوقب باطناً " (ص 448).
- " قال عبدالله بن المبارك رحمه الله : من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن ، ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض ، ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة" (ص 448).
- " وقيل : الأدب في العمل علامة قبول العمل " (ص 448).
- " وحقيقة الأدب : استعمال الخلق الجميل " (ص 448).

ومن المقولات أيضاً ما نقله علي الماوردي (1988هـ) :

- " وقال أردشير بن بابَكَ : مِن فضيلة الأدب أنه ممدوح بكل لسان ، ومتزيَّن به في كل مكان ، وباق ذكره على أيام الزمان " (ص 224).
- " وقال ابن المقفع : ما نحن إلى ما نتقوّى به على حواسنا من المطعم والمشرب ، بأحوج منا إلى الأدب ، الذي هو لِقاح عقولنا ، فإن الحبة المدفونة في الثرى لا تقدر أن تطلع زهرتها ونضارتها إلا بالماء الذي يعود إليها من مستودعها " (ص 225).
- " وحكى الأصمعي رحمه الله تعالى أن أعرابياً قال لابنه : يا بنيّ ، الأدب دعامة أيد الله بها الألباب ، وحلية زيَّن الله بها عواطل الأحساب . فالعاقل لا يستغني — وإن صحت غريزته

– عن الأدب المخرج زهرته ، كما لا تستغني الأرض – وإن عذُبت تربتها – عن الماء المخرج ثمرتها " (ص 225).

- " وقال بعض الحكماء : الأدب صورة العقل ، فصوِّر عقلك كيف شئت " (ص 225).
- " وقال بعض العلماء : الأدب وسيلة إلى كل فضيلة ، وذريعة إلى كل شريعة "(ص 225).
- " وقال بعض الشعراء فيه :

فما خلق الله مثل العقولِ ولا اكتسب الناسُ مثلَ الأدبْ
وما كَرَمُ المرء إلا التقى ولا حَسَب المرء إلا النسبْ
وفي العلم زين لأهل الحِجا وآفة ذي الحلم طيش الغضبْ "
(ص 225).

- " وأنشد الأصمعي رحمه الله :

وإن يك العقل مولوداً فلستُ أرى ذا العقل مستغنياً عند حادث الأدبِ
إني رأيتهما كالماء مختلطاً بالترب تظهر منه زَهْرة العُشُبِ
وكل من أخطأته في موالده غريزة العقل حاكىَ البَهْمَ في الحَسَب"
(ص 225).

- " وقال بعض الشعراء :

إن الغصون إذا قوَّمتها اعتدلت ولا يلين إذا قوّمته الخُشُبُ
قد ينفع الأدبُ الأحداثَ في صغر وليس ينفع عند الشيبة الأدَبُ "
(ص 226).

- " وقال آخر :

ينشو الصغير على ما كان والده إن الأصول عليها ينبت الشجر "
(ص 226).

ومنها أيضاً ما ذكره ابن مفلح المقدسي (1419 هـ ، ج3) :

- " قال عبدالله بن المبارك : إذا وصف لي رجل له علم الأولين والآخرين لا أتأسف على فوت لقائه، وإذا سمعت رجلاً له أدب النفس أتمنى لقاءه وأتأسف على فوته " (ص 522).

- " ويقال : مثل الإيمان كمثل بلدة لها خمسة حصون : الأول من ذهب ، والثاني من فضة ، والثالث من حديد ، والرابع من آجر ، والخامس من لبن ، فما زال أهل الحصن يتعاهدون الحصن من اللبن لا يطمع العدو في الثاني ، فإذا أهملوا ذلك طمعوا في الحصن الثاني ثم الثالث ، حتى تخرب الحصون كلها ، فكذلك الإيمان في خمسة حصون : اليقين، ثم الإخلاص ، ثم أداء الفرائض ، ثم أداء السنن ، ثم حفظ الآداب ، فما دام العبد يحفظ الآداب ويتعاهدها فالشيطان لا يطمع فيه ، فإذا ترك الآداب طمع الشيطان في السنن ، ثم في الفرائض ، ثم في الإخلاص ، ثم في اليقين " (ص 523).
- " وقال ابن المبارك : لا يَنْبُلُ الرجل بنوع من العلم ما لم يُزين علمه بالأدب " (ص 523).
- "كان يقال : الأدب من الآباء ، والصلاح من الله " (ص 523).
- "كان يقال : من أدّب ابنه صغيراً ، قرّت به عينه كبيراً " (ص 523).
- " وقال بعضهم : من لم يؤدّبه والداه أدّبه الليل والنهار " (ص 523).
- " وقال محمد بن سيرين : كانوا يقولون : أكرم ولدك وأحسن أدبه " (ص 524).
- " وقال الحسن : التعلم في الصغر كالنقش على الحجر " (ص 524).

وجاء من العبارات كذلك ما أورده عبدالعزيز ندا (1425هـ) :

- " وقال حبيب بن الشهيد لابنه : يا بني ؛ اصحب الفقهاء والعلماء ، وتعلم منهم ، وخذ من أدبهم، فإن ذلك أحب إليّ من كثير من الحديث " (ص 14).
- " وقال بعض السلف لابنه : يا بني ؛ لأن تتعلم باباً من الأدب أحب إليّ من أن تتعلم سبعين باباً من أبواب العلم " (ص 14).
- " قال رويم – العالم الصالح – لابنه : يا بني : اجعل علمك ملحاً ، وأدبك دقيقاً " (ص ص 15 – 16) ، والمعنى أن تكون نسبة الأدب إلى العلم في الكثرة مثل نسبة الدقيق إلى الملح في العجين . (عبدالعزيز ندا ، 1425هـ)

وهذه المقولات والعبارات تصدق كذلك في الآداب والقيم والأخلاق المذكورة سابقاً ، ولكنها أكثر ارتباطاً بهذه الآداب الأربعة ذات الطابع العملي اليومي.

وهكذا الدين الإسلامي يدعو ويأمر باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما أتى به ، ومن ذلك التربية على الآداب النبوية ، وتعويد المتربين عليها من الصغر ، يقول الله تعالى :

" وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ " (الحشر : 7) " وهذا شامل لأصول الدين وفروعه ، ظاهره وباطنه ، وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه ، ولا تحل مخالفته ، وأن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى ، ولا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه ، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله " (عبدالرحمن السعدي ، 1424هـ ، ص 813).

(3) الآداب الأربعة في مصادر التربية الإسلامية :

أولاً : آداب الطعام والشراب :

أوجب الإسلام على الوالدان أن ينفقا على عيالهم رزقاً حلالاً طيباً ، وأن يغرسا تلك القيم من وقت مبكر ؛ حتى تثبت في الكبر . والسنة المطهرة استوعبت كثيراً من تلك الآداب الخاصة بالطعام والشراب ، وما تركت صغيرة ولا كبيرة إلا أوضحتها . (حنان الجهني ، 1422هـ)

فعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه ، وإذا شرب فليشرب بيمينه ، فإن الشيطان يأكل بشماله ، ويشرب بشماله " رواه مسلم (مسلم النيسابوري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 837 / يحيى النووي ، 1414هـ ، ج13 ، ص 166) ، " فيه استحباب الأكل والشرب باليمين، وكراهتهما بالشمال ، وقد زاد نافع الأخذ والإعطاء ، وهذا إذا لم يكن عذر ، فإن كان عذر يمنع الأكل والشرب باليمين من مرض أو جراحة أو غير ذلك فلا كراهة في الشمال " (يحيى النووي ، 1414هـ ، ج13 ، ص 166) ؛ فيتعود المتربي من نعومة أظفاره أن يأكل ويشرب بيمينه إلا في حالة العذر ، ويدرك المتربي – عندها – أن أكله وشربه باليمين مما يحبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن عكس ذلك من عوائد الشيطان ؛ فينفر منه .

وأما حديث عمر بن أبي سلمة فقد قال فيه : كنت في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت يدي تطيش في الصحفة ، فقال لي : يا غلام سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك. رواه مسلم (مسلم النيسابوري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 838 / يحيى النووي ، 1414هـ ، ج13 ، ص 167)

ويقدم محمد القاضي ما يستحب فعله ؛ فيقول : " ويستحب لصاحب الطعام مباسطة الآكلين بالحديث الطيب والحكايات اللائقة بالحال ويأكل بالأدب مع أبناء الدنيا وبالإيثار مع الفقراء وإن أكل مع ضرير بصر أعلمه بما بين يديه فربما فاته أطيب الطعام لعماه " (د.ت ، ص 367)

ويمكن بيان آداب الطعام والشراب على النحو الآتي :

1. آداب الطعام التي ينبغي تحبيب وتعويد وتدريب المتربي عليها :

أ – قبل الأكل :

- أن تكثر الأيدي على الطعام ؛ فيدعو غيره للأكل معه .
- غسل اليدين قبل الأكل وبعده .
- الأكل بجلسة صحيحة ، وعدم الاتكاء ، والأفضل على الأرض .
- أن يقول للضيف عند تقديم الطعام له : بسم الله ، أوكلوا ، أو ما شابهها مما يشعر بالإذن في تناول الطعام .

ب – أثناء الأكل :

- التسمية عند الأكل ، فإن نسي قال : بسم الله أوله وآخره .
- عدم الأكل في أواني الذهب والفضة .
- ألا يبدأ الأكل في حضرة من هو أكبر منه سناً أو مقاماً .
- عدم المزاحمة على المائدة ، وألا يسبق غيره .
- الأكل باليد اليمنى .
- تناول الطعام من الذي أمامه ويليه إلا إذا كان متنوعاً .
- ألا يأكل من وسط القصعة .
- الأفضل الأكل باليد وبثلاثة أصابع .
- ألا يعيب طعاماً ، ويفضل امتداحه تطيباً لخاطر صانعه .
- عدم النفخ في الطعام الحار ، وعدم الجمع بين التمر والنوى في طبق واحد .
- عدم فعل ما يشمئز منه الناس .
- التحدث على الطعام بالمعروف في غير إكثار ولا إفراط .

ج – بعد الأكل :

- لعق الأصابع ، وألا يمسح اليد قبل اللعق .
- حمد الله .

- أن يدعو لمضيفه عندما يفرغ بقوله : " اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم " ، و " أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلَّت عليكم الملائكة " .

2. آداب الشراب التي ينبغي تحبيب وتعويد وتدريب المتربي عليها :

- التسمية عند الشرب .
- الشرب قاعداً .
- عدم الشرب من فم السقاء ، أو من الإناء الذي يصبّ منه للجميع .
- ألا يشرب في أواني الذهب والفضة .
- أن يتناول الإناء ويشرب باليمنى .
- حمد الله تعالى بعد الشراب .
- أن يدعو لمن سقاه بقوله : " اللهم أطعم من أطعمني واسق من سقاني " .
- عند سقاية الآخرين فإنه يبدأ من اليمين .
- أن يكون آخر من يشرب إذا كان هو الساقي . (حنان الجهني ، 1422هـ / عبدالعزيز ندا ، 1425هـ / محمود عمارة ، 1418هـ / عبدالله العبادي ، 1415هـ)

ثانياً : آداب السلام :

السلام بمعنى السلامة ، وهو دعاء للإنسان بملازمة سلامة الله وحفظه له ، كقولنا : (الله معك) و(الله يصحبك) ، وهو اسم من أسماء الله تعالى ، وهو من الأمور المؤدية للمحبة والوئام بين أفراد المجتمع ، فحينما يتأدب المتربي بآداب السلام ؛ فإنه ينشر المحبة والألفة بينه والآخرين، كما قال عليه الصلاة والسلام: " أفشوا السلام بينكم تحابوا " رواه الحاكم عن أبي موسى ، وصححه الألباني (محمد ناصر الدين الألباني ، 1408هـ ، ج1 ، ص 246) ، وقال صلى الله عليه وسلم : " والذي نفسي بيده ، لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم " رواه مسلم (مسلم النيسابوري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 53). (حنان الجهني ، 1422هـ / عبدالعزيز ندا ، 1425هـ)

وقد جاء التوجيه الرباني بالأمر بالسلام عند الدخول إلى البيوت ، فهي تحية مباركة طيبة قد شرعها الله للمسلمين ، فقال تعالى : " **فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً**" (النور:61) ، يقول عبد الرحمن السعدي : " فليسلم بعضكم على بعض

، لأن المسلمين كأنهم شخص واحد ، من توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم . فالسلام مشروع لدخول سائر البيوت، من غير فرق بين بيت وبيت " (1424هـ ، ص ص 546 – 547).

وعليه ؛ فلا بد من عناية التربية الأسرية بهذا الأدب الكريم ، وتعويد الناشئة عليه ، بحيث يعوَّد المتربي أن يبدأ هو بالسلام على والديه وإخوته ومن في البيت ، وبخاصة عندما يدخل البيت ، ويتعزز هذا التعويد والتدريب للمتربي على تحية الإسلام عندما يبدأ الوالدان بالسلام ... لأنه يتعرض يومياً للقاء الناس على مختلف أجناسهم وأعمارهم ومستوياتهم ، فهو يحتاج إلى التعرف على مفتاح الكلام معهم لينجح في علاقته بالآخرين . (محمد سويد ، 1408هـ / حنان الجهني ، 1422هـ).

وجاء عند البخاري ؛ عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع : بعيادة المريض واتباع الجنائز ، وتشميت العاطس، ونصر الضعيف ، وعون المظلوم ، وإفشاء السلام ، وإبرار المقسم ... " رواه البخاري (محمد البخاري ، 1419هـ ، ج1 ، ص 1144 / ابن حجر العسقلاني ، 1421هـ ، ج11 ، ص23) ، قال ابن حجر : " والإفشاء الإظهار ، والمراد نشر السلام بين الناس ليحيوا سنته " (1421هـ ، ج11 ، ص 23) .

قال ابن حبان البستي (ت 354هـ) : " الواجب على العاقل أن يلزم إفشاء السلام على العام " (ط 1418هـ ، ص 60) ، وقال : " الواجب على المسلم إذا لقى أخاه المسلم أن يسلم عليه متبسماً إليه فإنه من فعل ذلك تحاتّ عنهما خطاياهم كما تحاتّ ورق الشجر في الشتاء إذا يَبَسَ ، وقد استحق المحبة من أعطاهم بشر وجهه" (1418هـ ، ص 60 – 61).

وأما عن الآداب التي ينبغي تعليمها وتربية النشء عليها فكثيرة ، منها :

- الشرع حث على السلام ، والابتداء به سنة ، ورده واجب .
- السلام على من عرفت ومن لا تعرف .
- السلام بلفظ " السلام عليكم " وأفضل منه " السلام عليكم ورحمة الله " وأفضل ذلك " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " .
- السلام بلفظ مسموع ، ويخفض الصوت إذا كان السلام على أيقاظ عندهم نيام .
- لا يسلم بالإشارة بالكف أو الرأس أو الأصابع إلا على من بَعُدَ عن السماع .
- ألا يرد بالإشارة إلا على من بَعُد عن السماع .

- أن يكون الرد بواو العطف في قوله " وعليكم " ، والزيادة على لفظ السلام في الرد مندوبة ، والمماثلة مفروضة .
- أن يسلم الماشي على الواقف أو القاعد ، والراكب على الماشي ، والصغير على الكبير ، والقليل على الكثير .
- السلام إذا دخل بيتاً ليس فيه أحد .
- السلام عند الدخول والخروج .
- ألا يسلم على من يقضي حاجته وما شابهه .
- عدم ابتداء الكافر بالسلام .
- إعادة السلام على من تكرر لقاؤه على قرب .
- إذا بُعِث إليه سلام مع إنسان فيرد على الفور بقوله : " وعليك وعليه السلام " (حنان الجهني ، 1422هـ/ عبدالعزيز ندا ، 1425هـ / عبدالله العبادي ، 1415هـ).

ثالثاً : آداب المجلس :

جاءت الشريعة برعاية الآداب الاجتماعية التي يحتاجها الفرد في علاقته بالآخرين أثناء حياته اليومية، ومن ذلك ما يتعلق بالمجالس وآدابها ، فالله سبحانه قد قال : " **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ** " (المجادلة : 11) ، قال عبدالرحمن السعدي : " هذا تأديب من الله لعباده المؤمنين إذا اجتمعوا في مجلس من مجالس مجتمعاتهم ، واحتاج بعضهم أو بعض القادمين للتفسح له في المجلس ، فإن من الأدب أن يفسحوا له تحصيلاً لهذا المقصود . وليس ذلك بضار للجالس شيئاً، فيحصل مقصود أخيه من غير ضرر يلحقه هو ، والجزاء من جنس العمل ، فإن من فسح فسح الله له، ومن وسع لأخيه وسع الله عليه " (1424هـ ، ص 809) ، وعن عبدالله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا يحلّ لرجل أن يفرّق بين اثنين إلا بإذنهما " رواه الترمذي (محمد العظيم آبادي ، 1419هـ ، ج13 ، ص 133) .

ويحذر ابن قيم الجوزية من المجالس التي تعود على الصبيان والصغار بالسوء والعادات القبيحة ، فيقول " ... وكذلك يجب أن يتجنب الصبي إذا عقل : مجالس اللهو ، والباطل ، والغناء ، وسماع الفحش ، والبدع ، ومنطق السوء ، فإنه إذا علق بسمعه، عسر عليه مفارقته في

الكبر ، وعزّ على وليه استنقاذه منه ، فتغيير العوائد من أصعب الأمور، يحتاج صاحبه إلى استجداد طبيعة ثانية ، والخروج عن حكم الطبيعة عَسِر جداً ..." (1412هـ ، ص 269) .

ومجموع آداب المجلس التي يحتاجها المربون لتربية الناشئة عليها نظرياً وعملياً ؛ ما يلي :

- السلام عند دخول المجلس ، والتصافح مع غير المرأة الأجنبية .
- أن يجلس حيث انتهى به المجلس أو المكان الذي يحدد له .
- الجلوس في محاذاة الناس لا في وسطهم إن كان في المجلس سعة .
- ألا يفرِّق بين اثنين في المجلس دون إذنهما .
- ألا يقيم أحداً من مكانه ليجلس بدلاً منه .
- ألا يضطجع والناس جلوس إلا لعذر ، ولا يشبك أصابعه ، ولا يدخل أصبعه في أنفه ، ولا يبصق ، ولا يتمخط ، ولا يستدبر غيره ، ولا يضع رجلاً على رجل ، ولا يضع كفه تحت ذقنه.
- التيامن في الدخول والخروج والضيافة .
- عدم القيام للقادم إلا لمن كان له فضيلة ظاهرة براً به وإكراماً واحتراماً .
- أن يتكلم باللغة العربية الفصحى .
- أن يتكلم بتمهل حتى يفهم المستمع .
- أن يتكلم بصوت مسموع بين المرتفع والمنخفض ، ولا يتكلم إلا إذا طلب منه ، أو طلب الكلام فأُذن له ، وألا يطيل على المستمعين .
- ألا يقاطع المتكلم في المجلس ، بل ينظر ويصغي إليه .
- أن يتعود على أن يسمع كثيراً ويتكلم قليلاً .
- أن يتدرب على مهارات الحوار البناء .
- ألا يذكر أحداً في غيبته بسوء ، فإن حصل اعتذر منه وذكره بخير في المجلس نفسه.
- الابتعاد عن النميمة .
- الإفساح للقادم .
- التحلي بالتواضع .

- الابتعاد عن السب والشتم واللعان .
- الابتعاد عن الاستهزاء بالآخرين .
- أن لا يحضر مجلساً فيه منكر .
- أن يكون طلق الوجه عند اللقاء .
- أن يذكر الله تعالى في المجلس ، ويكثر من الاستغفار .
- أن يتثبت مما يقوله ، فلا يتكلم قبل التفكير فيما سيقوله .
- إذا حدّثه جليسه بحديث وهو يعرفه فلا يخجله بإظهار معرفته له بل يبدي اهتمامه.
- إذا أشكل عليه شيء من حديث جليسه فعليه أن يصبر حتى ينتهي من حديثه ، ثم يستفهم منه بأدب ولطف إلا في مجالس الدراسة والتعلم فيحسن السؤال والمناقشة عند تمام الجملة أو المعنى .
- إذا سئل جليسه عن شيء ألا يبادر بالإجابة عنه .
- عدم الاستماع لحديث من يَكْرَه سماع حديثه ، فلا يتجسس .
- ألا يتناجى مع آخر دون الثالث .
- الابتعاد عن الكذب حتى لو كان القصد المزاح وإضحاك الناس .
- عدم الإكثار من المزاح والمرح والمداعبة .
- أن يكون المجلس في زيارة وصلة وصداقة ، وفي وقت ملائم فلا إثقال ولا تطويل .
- إذا دخل بيت صاحبه فلا يتفقده ببصره تفقد الفاحص ، بل يغض بصره ، ويقصره على الحاجة ، ولا يفتح مغلقاً من خزانة أو محفظة أو ما شابه ذلك .
- أن يشكر من صنع إليه معروفاً ، وشكر المضيف والدعاء له .
- أن يختم المجلس بدعاء كفارة المجلس : "سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك " .
- السلام عند الخروج بعد استئذان المسؤول عن المجلس بالانصراف .
- إذا كان المتربي هو المضيف ، فيدرَّب على حسن الضيافة والاستقبال للضيف والتفاهم معه ومعرفة طلبه والكلام معه ". (حنان الجهني ، 1422هـ / عبدالعزيز ندا ، 1425هـ / عبدالله العبادي ، 1415هـ)

رابعاً : آداب المزاح :

المزاح والدعابة ملح للحياة الاجتماعية والعلاقات الإنسانية ، وبه يحصل الإيناس والتودد إلى الأهل والأصحاب ، وينفي المزاح ما يطرأ على المرء من سآمة ، يقول علي الماوردي : " ... فالعاقل يتوخى بمزاحه إحدى حالتين ، لا ثالثة لهما . إحداهما: إيناس المصاحَبين ، والتودد إلى المخالطين ، وهذا يكون بما أنِسَ من جميل القول ، وبسَط من مستحسن الفعل . وقد قال سعيد بن العاص لابنه : اقتصد في مُزاحك ، فإن الإفراط فيه يُذهب البهاء ، ويجرّئ عليك السفهاء ، وإن التقصير فيه يغُضُّ عنك المؤانسين ، ويُوحِش منك المصاحبين . والحالة الثانية : أن ينفيَ بالمزاح ما طرأ عليه من سَأَم ، وأحدث به من همّ، فقد قيل : لا بد للمصدور أن ينفُث . وأُنشدت لأبي الفتح البستي :

أفِدْ طبعك المكدودَ بالجِدّ راحة تَجِمّ وعلّله بشيء من المزْح

ولكن إذا أعطيته المزْح فليكن بمقدار ما يُعطى الطعام من المِلْح " (1988م ، ص ص 297 – 298) ، ويقول عبدالله علوان : " ما أجمل المسلم في الحياة حينما يجمع مع الجد – الذي يسعى إليه – روح الدعابة، وفكاهة الحديث ، وعذوبة المنطق ، وطرافة الحكمة ... الإسلام بمبادئه السمحة يأمر المسلم أن يكون آلفاً بسّاماً مرحاً خلوقاً ، كريم الخصال ، حميد الفعال، حسن المعشر ، حتى إذا خالط الناس ، واجتمع بهم ؛ رغبوا به ، وانجذبوا إليه ، والتفوا حوله .وهذا غاية ما يحرص عليه الإسلام في تربية الأفراد ، وتكوين المجتمعات ، وهداية الناس " (1406هـ ، ج1 ، ص 441).

وقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلا حقاً ، وهكذا فينبغي أن يتربى المتربي عليه عند مزاحه مع أقرانه ، مع ملاحظة أن هامش الدعابة واللعب واسعة في حق الناشئة ، ولكن التربية على الضوابط والمهارات من الصغر مهمة جداً .

فعن أنس أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله احملني ، فقال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا حامِلوك على ولد ناقة ، قال : وما أصنع بولد الناقة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وهل تلد الإبل إلا النوق . رواه أبو داود وصححه الألباني (سليمان السجستاني ، 1419هـ ، ص 540 / محمد العظيم آبادي ، 1419هـ ، ج13 ، ص 233) ، قال محمد العظيم آبادي : " وفي هذا الحديث والأحاديث الآتية في الباب إباحة المزاح والدعابة ، وكان صلى الله عليه وسلم يداعب الصحابة ولا يقول إلا حقاً . وأخرج الترمذي من حديث ابن عباس رفعه (لا تمار أخاك ولا تمازحه) الحديث ، والجمع بينهما أن المنهي عنه ما فيه إفراط أو مداومة عليه لما

فيه من الشغل عن ذكر الله والتفكر في مهمات الدين ويؤدي إلى قسوة القلب والإيذاء والحقد وسقوط المهابة والوقار ، والذي يسلم من ذلك هو المباح ، فإن صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب ومؤانسته فهو مستحب" (ج13 ، ص 234) ، وعن أبي هريرة قال : قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا ؟ قال : إني لا أقول إلا حقاً . رواه الترمذي وصححه الألباني (محمد الترمذي ، 1419هـ ، ص 332 / محمد عبدالرحمن المباركفوري ، د.ت ، ج6 ، ص 108هـ) ، " قوله : (إنك تداعبنا) من الدعابة أي تمازحنا ، ومن ذلك قوله لعجوز : لا تدخل الجنة عجوز، أي لا تبقى عجوزاً عند دخولها "(محمد عبدالرحمن المباركفوري ، د.ت ، ج6 ، ص 108).

وعن صهيب قال : قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر فقال : "ادنُ فكُلْ" فأخذت آكل من التمر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " تأكل تمراً وبك رمد ؟ " قال: فقلت: إني أمضغ من ناحية أخرى . فتبسَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه ابن ماجه وصححه الألباني (محمد القزويني ، 1419هـ ، ص 372)

- وعن معاوية بن بهز قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ويل للذي يحدث فيكذب ليُضحك به القوم ، ويل له ، ويل له " رواه أبو داود والترمذي وحسنه الألباني (محمد ناصر الدين الألباني ، 1408هـ ، ج2 ، ص 1199) .

وقد ناقش علماء التربية الإسلامية المزاح ، وحاولوا أن يتوسطوا في ذلك بين الغالي والجافي ، وبين الإفراط والتفريط ، فلم يمنعوا المزاح ، ولم يفتحوا بابه على مصراعيه ؛ فقسموا المزاح إلى محمود ومذموم ، وأوضحوا آدابه وضوابطه . وما جاء من عبارات كقول ربيعة : " إياكم والمزاح ، فإنه يفسد المودة ، ويُغلّ الصدر " (ابن حبان البستي ، 1418هـ ، ص 63) ؛ فهذا محمول على المزاح الذي تجاوز الآداب والضوابط ، وهذا ما يفسر ذكر بعضهم المزاح من آفات اللسان ، وذلك حينما يخرج عن المألوف . وأما ما جاء من حثٍ على المزاح كقول ابن حبان البستي : " الواجب على العاقل أن يستميل قلوب الناس إليه بالمزاح ، وترك التعبّس " (1418هـ ، ص 63) ؛ فهذا محمول على المزاح المحمود المنضبط بالآداب الإسلامية المرعية .

ومن توجيهات وممارسة المربين في باب المزاح ، ما يلي :

- " عن راشد بن أبي قبال قال : استسقى سعيد بن جبير ، فأتيته بسويق مُحلًّى ، فقال : يا راشد شَكَر أزدَسْت شيرين (بالفارسية : السكر يكون من يدك حلواً) " (ابن حبان البستي ، 1418هـ ، ص 65).

- قال ابن حبان البستي : " المزاح إذا كان فيه إثم فهو يُسوّد الوجه ، ويُدمي القلب ، ويورث البغضاء ويحيي الضغينة ، وإذا كان من غير معصية يُسلّي الهم ويرقع الخُلّة ، ويحيي النفوس ، ويذهب الحِشمة ، فالواجب على العاقل أن يستعمل من المزاح ما يُنسب بفعله إلى الحلاوة ، ولا ينوي به أذى أحد ولا سرور أحد بمساءة أحد " (1418هـ ، ص 65).
- وقال أيضاً : " من مازح رجلاً من غير جنسه هان عليه واجترأ عليه ، وإن كان المزاح حقاً ؛ لأن كل شيء لا يجب أن يسلك به غير مسلكه ، ولا يظهر إلا عند أهله . ويكره استعمال المزاح بحضرة العام " (1418هـ ، ص 65).

ومن جميل ما يذكر في المزاح المعتدل المتوازن ما أوضحه سعود الحزيمي في موسوعته، حيث يقول : " ... والمزاح المتوازن الذي يسير حسب ضوابط الدين وحسن الخلق ، هو من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد كان عليه الصلاة والسلام كثير التبسم والانشراح ، رغم ما كان عليه من الجد في أداء واجباته ، والهيبة والوقار في مظهره . ومن هديه في هذا ، أنه كان يداعب زوجاته ، ويلاعب الأطفال ، ويتبسط مع أصحابه ويمازحهم ، ويهجر الجد في بعض الأوقات ، حتى يضفي على اجتماعه بهم وتعامله معهم شيئاً من الراحة والأنس . وكان عليه الصلاة والسلام يعيش بين الصحابة وفيهم الحازم كعمر بن الخطاب ، وصاحب الدعابة ، فلم ينكر على أي منهم ، إلا إذا تكلف في الضحك والقهقهة ، أو فعل ذلك في غير وقته ، أو وقع عند الممازحة في محظور شرعي ؛ كالكذب أو الترويع ، أو الإهانة للغير " (2005م ، ج4 ، ص 1803).

والأسرة والمدرسة والمجتمع بحاجة إلى مراعاة المزاح المتوازن ، وتربية الناشئ عليها من خلال هذا التراث الإسلامي العظيم ، والصور الواقعية لما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم وسلف هذه الأمة وعلماؤها ومربوها . ومن أعظم ما يؤثر على صياغة المتربي تربوياً في هذا الباب ما يراه من نماذج حية من والديه وإخوته وأقاربه وأصحابه والناس في الشارع والمواد الإعلامية المبثوثة عبر الأثير والفضاء والأرض . وعندما يُدرك المربون ذلك ؛ فإنهم يتحملون ما يصدر عنهم من مزاح ومداعبات خلال حياتهم الاجتماعية، ومسؤولون عما يقدّمونه من نماذج إعلامية مرئية ومسموعة ومقروءة ؛ وعندها تأتي الحاجة لأهمية الاختيار والانتقاء الصحيح .

وأخيراً ؛ نبين القواعد والضوابط والآداب ؛ حتى يكون المزاح مشروعاً ومفيداً وبعيداً عن المحظورات :

- الحذر من الاستهزاء بالدين وأهله .
- الالتزام بالصدق ، وتجنب الكذب وقول الزور .
- عدم الأذى فيه والإساءة لأحد ، وتجنب الترويع .
- الحذر من الإكثار والإفراط فيه .
- معرفة منازل الناس ومراعاتها .
- تقدير الزمان والمكان . (عبدالله علوان ، ط 1406هـ / سعود الخزيمي ، 2005م)

الخاتمة

وبهذه الآداب نختم ما خصص للقيم والأخلاق والآداب الاجتماعية المتطلبة لنمو المتربي ، والتي اتفقت آراء المحكمين على مدى مناسبة ارتباطها بموضوع البحث ، ومستوى أهميتها ، وقد كانت على النحو الآتي :

(تحمل المسؤولية ، الصبر ، الصدق ، الرحمة ، الشكر ، الرفق ، السماحة ، الحياء ، الأمانة ، الاعتذار ، حسن الخلق ، التعاون ، الحب والمحبة ، الوفاء بالعهد والوعد ، اختيار الصحبة الصالحة ، الأسوة والقدوة الحسنة ، آداب الطعام والشراب ، آداب التحية والسلام ، آداب المجلس ، آداب المزاح).

وغيرها من القيم والأخلاق والآداب كثير جداً ، وله أهميته في نمو المتربي الاجتماعي، مثل : التقوى ، والعدل ، والإنجاز ، وآداب النوم ، وآداب اللباس .

والحمد لله رب العالمين.